ماري دالي "وتفكيك المعتقد الذكوري"
دراسة في الفلسفة النسوية

د. علي حسين قاسم
مدرس فلسفة الدين
كلية الآداب – جامعة سوهاج

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة فلسفة "ماري دالي" النسوية عن طريق تفكيكها للمعتقد الذكوري، الذي تراه علة التمييز الجنسي، والسبب في اضطهاد النساء فتحاول أن تبحث في جذور هذه المشكلة ابتداءًا من الحضارات الشرقية القديمة ونصوص الكتاب المقدس، وفلاسفة اليونان وآباء الكنيسة، والعصور الوسطى حتى الفلسفة المعاصرة وذلك عن طريق نسويتها التي جمعت فيها بين الراديكالية وما بعد المسيحية. وسعت إلى تفكيك الروابط الدينية واللاهوتية المتصلة بدونية المرأة. فرأت أن الكهنة واللاهوتيين هم الذين سخَّروا النصوص على نحو يدين المرأة في كل المجالات.

الكلمات المفتاحية:
النسوية الراديكالية– التحرر– اللاهوت– السلطة الأبوية– القمع– التمييز الجنسي.

Abstract

This aim of the study is to examine the feminist philosophy of Mary Daly through a treatment of her understanding of the masculine belief which is considered– according to Daly– the cause of sexual discrimination and the reason of the oppression of women. Daly attempts to examine the roots of this problem from the ancient Eastern civilizations, the Biblical text, the Greek philosophers and the Church Fathers in the Middle Ages until contemporary philosophy. Mary Daly's feminist philosophy is a combination between the feminist radicalism and the post-Christian. Daly sought to deconstruct the religious and

(ISSN : 2536 - 9555)

theological attitudes which aimed to degrade women. Daly believed that priests and theologians misquoted and misused texts to condemn women in all fields.

Keywords:

Radical feminist, Liberation, Theology, Patriarchy, Oppression, Sexual Discrimination

مقدمة:

لقد شغلت مكانة المرأة في المجتمع الإنساني حيزًا غير قليل في كتابات الفلاسفة، وذلك منذ الإرهاصات الأولى للتفلسف في الثقافة المصرية القديمة، ثم الفكر الشرقي القديم بوجه عام. والغريب أن الأسطورة قد لعبت دور البطولة في تشكيل موقف الفلاسفة من المرأة، فمعظم الثقافات قد اتخذت موقفًا عدائيًا من المرأة، ونظرت إليها نظرة ازدراء لا تخلو من وصفها بالدونية، وإلحاق بسيرتها كل أشكال الرذائل بداية من قصة الخلق (آدم وحواء) والزعم بأن المرأة "حواء" هي التي أغرت "آدم" بالمعصية، ودفعته إلى الأكل من الشجرة المحرمة، ومروراً بالأساطير اليونانية التي وصفت المرأة بأنها كائن فضولي ثرثار لدرجة أن سقراط Socrates (470– 399ق.م) قد حمد الآلهة وشكرها لأنه جاء إلى العالم ذكرًا، وليس أنثى، وانتقلت هذه النظرة الدونية إلى العهد القديم، والعهد الجديد، ورسائل بولس، الأمر الذي أضفى رداءً من هذه القداسة على ذلك الاتهام، وتلك النظرة، واستمر الحال على هذا الدرب في الثقافة الغربية، والمجتمعات الإسلامية التي كانت أرفق وأرحم بالمرأة من غيرها من الديانات والفلسفات.

ولقد قاومت المرأة بدورها هذا الظلم، وذلك الافتراء، وطالبت مرارًا بالمساواة، واجتهدت في إثبات براءتها من التهم التي ألصقت بها استنادًا على الواقعات التاريخية، والأسانيد العلمية التي تكذب الادعاءات التي تعطي للذكور قدرات تفوق النساء إلى أن جاء القرن العشرين، فظهرت الفلسفة النسوية التي لم تقنع بالحركات المطالبة بحقوق المرأة السياسية، والاجتماعية، والعقدية، بل قاومت كل التصورات، وذلك بتحليلات النابهات من أعضاء الدوائر البحثية النسوية، اللاتي وجدن أن المجتمع الذكوري قد جدف واصطنع حكايات ونظريات لتكبيل المرأة، والهيمنة عليها، والحد من حرياتها

ووجودها الإنساني. فقررت هذه الدوائر فضح هذه المخططات، والكشف عن تلك الأكاذيب، وذلك باتجاهات نقدية لا تخلو من الاجتراء على كل الثوابت في معظم الأحايين. ولعل من أهم النزعات الفلسفية التي ذاعت وشاعت في الدوائر البحثية الفلسفية الغربية بصفة عامة، وفلسفة الدين النسوية بصفة خاصة هي نزعة الفيلسوفة الأمريكية النسوية الراديكالية "ماري دالي" Mary Daly (1928– 2010)، التي تمثل حركة اللاهوت النسوي المسيحي المعاصر. تلك الحركة التي جاءت رد فعل مناوئ للنصوص المقدسة، وكتابات آباء الكنيسة، وشروحهم حول الكتاب المقدس فيما يتعلق بالنساء، وشعورهن بالظلم، والقهر، وعدم المساواة السياسية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية. فرأين أن كتابات الآباء تعد انحيازًا واضحًا للبطريركية Patriarchy أو السلطة الأبوية؛ أى هيمنة العقل الذكوري على حساب الأنثى، وهو الأمر الذي يدخل– من وجهة نظرهن– في صميم التمييز العنصري الجنسي، الذي يمثل انتهاكًا لحقوق الإنسان في أى مكان. وعلى ذلك فإن اللاهوت النسوي المسيحي المعاصر– في أساسه ومجمله– لاهوت نقدي انبثق من اللاهوت التحرري، ظاهره المعلن الدفاع عن حقوق النساء، وباطنه تأليه الأنثى.

وعلاوة على ذلك فقد نظرت تابعات اللاهوت النسوي المعاصر إلى اللاهوت المسيحي التقليدي على أنه من صنع رجال الدين الذين وضعوه بالطريقة التي تحافظ على كيانهم، وترعى مصالحهم واستمرارهم، ومن ثم فقد حاول أتباع فلاسفة اللاهوت النسوي المعاصر طمس معالم السيطرة الذكورية في محاولة منهن لإضفاء الطابع اللاهوتي الأنثوي، أى أنهن حاولن إحلال اللاهوت النسوي محل اللاهوت البطريركي الذي وَلد لديهن الشعور بالاغتراب.

وتعد "ماري دالي" من أبرز فلاسفة النسوية المعاصرين اللاتي سعين نحو المساواة، ورأين أن ظلم النساء، وعدم حصولهن على المساواة يرجع في المقام الأول إلى النصوص المقدسة، وتأويلاتها، التي تعدها نصوصًا إقصائية للنساء ودورهن الحقيقي. إذ نظرت هذه التأويلات إلى المرأة على أنها مجرد أداة ليس إلا، ومن ثم فقد رفعت "ماري دالي" شعار النقد والبناء وجعلتهما وجهين لعملة واحدة هي إصلاح اللاهوت،

(ISSN : 2536 - 9555)

والفكر الكنسي. ولقد ظهر ذلك جليًا عن طريق مقالاتها وكتاباتها. فقد عكفت على إعادة قراءة نصوص العهد الجديد، وسعت إلى انتقاء النصوص الواردة في الأناجيل ورسائل بولس– التي تتسم بكراهية النساء على نحو ما ورد في قصة الخلق، ومشكلة الخطيئة، وغيرها من المشكلات اللاهوتية وذلك من منظور نسوي علماني معاصر. إذ تعد العلمانية، وما بعد الحداثة، وحفريات المعرفة، والتفكيكية من الدعائم الأساسية لفكرها، علاوة على تأثرها بالفلسفة الوجودية.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن المجتمعات الشرقية، والعربية منها على وجه الخصوص قد تأثرت بكتابات "ماري دالي"، وغيرها من فلاسفة النسوية، الأمر الذي كان وراء إقدامنا على الكتابة في هذا الموضوع؛ وذلك لتوضيح علة ظهور هذه النزعة النقدية الاجترائية، والتعرف عن قرب على بنية أفكارها وأهدافها ومقاصدها.

وسوف نتناول في هذا البحث موجز عن حياة "ماري دالي" وذلك لعدم وجود أى كتابات عنها في اللغة العربية، ثم نقف بشيء من التفصيل على البنية الفلسفية واللاهوتية لخطابها الفلسفي وذلك عن طريق عرض أطوارها الثلاثة، التي أولها النقد والإصلاح، وثانيها النقض والإطاحة، وثالثها الثورة، ثم ننتقل بالحديث إلى طبيعة تصوراتها، واتجاهاتها النقدية، وآرائها، وذلك بالحديث عن وجهتها التي انتقلت فيها خلال رحلة طويلة من الحداثة إلى ما بعد الحداثة حيث رفض النسقية إلى الاعتماد على التفكيك والرؤى الشخصية في النقد، واللانسقية في الانتقاء. ثم ننتقل إلى الجانب التطبيقي حيث ثورة "ماري دالي" وجحودها للنصوص المقدسة. فبينا موقفها من العهد القديم والعهد الجديد، وآباء الكنيسة، والعصر المدرسي، والفلسفة الحديثة والمعاصرة وذلك فيما يتعلق بالقمع النسوي.

وتعرضنا كذلك لموقفها النقدي من مفهوم الألوهية، والعقائد المقدسة الذكورية، فكشفنا عن تعريفها للإله، وموقفها من قضية الكريستولوجي، وردودها على دفوع الكنيسة، وآثرنا أن نختتم البحث بتناولنا لموقفها من الثقافة ورغبتها في تقويمها عن طريق الثورة والانقلاب على المجتمع الذكوري.

ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المناهج الأربعة الرئيسة، وهي: التحليلي والتاريخي والمقارن والنقدي، إضافة إلى علم تاريخ الأفكار، الذي يمكننا من مقارنة البنية الأسطورية بالبنية الدينية المقدسة.

وعلى ذلك فقد قسمت البحث إلى مجموعة من العناصر لعل أهمها:

1] ماري دالي والبنية الفلسفية واللاهوتية للخطاب النسوي:

أولاً: طور النقد الإصلاح.

ثانيًا: طور النقض والإطاحة.

ثالثاً: الطور الثوري.

2] ماري دالي من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.

3] ثورة دالي وجحودها للنصوص المقدسة:

أ- موقفها من العهد القديم.

ب- موقفها من العهد الجديد.

ج- موقفها من آباء الكنيسة والعصر المدرسي.

د- موقفها من الفلسفة الحديثة والمعاصرة.

4] الألوهية والعقائد المقدسة:

أ- نقض الموروث العقدي.

ب- العقائد المقدسة.

5] تحرير النساء والثورة الثقافية:

أ- الإقدام النسوي من أجل التحرر.

ب- الأنثى الأبدية في مقابل التأخي النسوي أو الأختية النسوية.

ج- اللغة والمجاز عند دالي.

1] ماري دالي والبنية الفلسفية واللاهوتية للخطاب النسوي:

ولدت "ماري دالي" الابنة الوحيدة لعائلة إيرلندية كاثوليكية في ضاحية سكينكتادي Schenectady التابعة لمدينة نيويورك في 16 أكتوبر 1928م. ولقد تربت على التعاليم الكاثوليكية فالتحقت بمدارسها، ومنها استمدت دراسة الدين والفلسفة.

(ISSN : 2536 - 9555)

وقد حصلت "دالي" على درجة الماجستير في اللغة الإنجليزية، من الجامعة الكاثوليكية بأمريكا، ثم ثلاث درجات للدكتوراه؛ فقد حصلت على الدكتوراه الأولى في الدين عام 1953 من كلية سانت ماريا St. Mary بنوتردام التابعة لولاية إنديانا Indiana الأمريكية ثم أرادت بعد ذلك دراسة اللاهوت، لكن خاب أملها في أن تحصل على برنامج لدراسة اللاهوت في الولايات المتحدة، فقد كان غير مسموحًا للأنثى مواصلة الدراسات العليا لدرجة الدكتوراه في اللاهوت المقدس Sacred Theology[1]، لكن "دالي" لم تيأس، وقررت أن تواجه التحدي فذهبت إلى سويسرا في بداية الستينيات للدراسة في جامعة فرايبورج Fribourg، التي وجدت فيها الحرية. وبدأت تنطلق لدراسة فلسفة العصور الوسطى بوجه عام والفلسفة التوماوية بوجه خاص، وبالتالي استطاعت أن تجمع بين الفلسفة واللاهوت لكنها واجهت صعوبات دراسية كثيرة إذ كانت الدراسة باللغة اللاتينية، وأنها الفتاة الوحيدة التي كانت تدرس اللاهوت في ذلك الوقت، وكان كل زملاؤها من الكهنة، ومعظمهم من أقطار لاتينية، فكانوا يتركون أماكن فارغة حولها في قاعة الدرس لا يجلسون بجوارها خوفًا من الإغراءات على حد زعمها، أضف إلى ذلك فقد كان القائمون بالتدريس هم من الكهنة الدومنيكان، وعلى الرغم من هذه الصعوبات فقد استطاعت الحصول على درجة الدكتوراه الثانية في اللاهوت عام 1963 ثم درجة الدكتوراه الثالثة في الفلسفة عام 1965 من الجامعة نفسها[2]. عن القديس "توما الأكويني" Thomas

---

([1]) M. Daly: The Church and the second sex, Beacon press, Boston, U.S.A, 1985, p.8.

وانظر:

- Tina Gianoluis: Mary Daly:Encyclopedia G.L.B.T.Q, Inc., U.S.A, 2015,Available at http://www.glabtq.com

([2]) Mary Daly: op. cit, p. 8.

وانظر: - http: www. Britannica. Com.biography/Mary- Daly.

- Mary A. Hunt: Mary Daly, water wheel (A quarterly News Letter of the Women's Alliance for Theology, Ethics, Ritual, Vol. 21, No. 1, 2010, pp. 1-3.

Aquinas (1225– 1274) الذي تخصصت في دراسة نصوصه، لكن قدراتها تجاوزت المنطق المتعلق بالإسكولائية الجديدة، فأظهرت ميلاً قويًا ومتناغمًا للاتجاهات المعاصرة، بيد أنها لم تحاول التوفيق بين المسيحية والحداثة، لكنها استبدلت بتعبيرات الإيمان الديني الخاص بالوجود اللامتناهي نزعة شكية تجاه المصطلحات اللاهوتية التي حظيت بالرضا الذاتي– على حد زعمها– ولم تتغير منذ العصور الوسطى مثل مفاهيم اللاهوت والإيمان الديني. وطالبت بإبداع جديد يعتمد على تطوير اللغة التقليدية للمسيحية حتى يمكن فتح حوار ونقاشات للمشكلات النسوية، وحاولت عن طريق أطروحتها أن تجد صلة أو تواصلا إيجابيا بين المفاهيم اللاهوتية للإسكولائية الجديدة والإيمان الديني من ناحية وبينها وبين تحرير النساء والعامة من ناحية ثانية. وكشفت "دالي" في أطروحتها عن ميلها للاهوت التأملي العقلي. فاتبعت المنهج الاستقرائي في اللاهوت الذي يقوم على معرفة إيجابية للرب عن طريق مخلوقاته، وليس عن طريق التفسير أو التصريح بمضمون وحي الكتاب المقدس للمعاصرين[3].

وعلى الرغم من تلقي "دالي" فكرًا كاثوليكياً تقليديًا فإن فلسفة اللاهوت البروتستانتي ممثلاً في فكر "بول تيليش" Tillich Paul (1886– 1965) كانت مصدر إلهام لكثير من أفكارها، إذ يعد "تيليش" الوثن الفلسفي بالنسبة "لدالي" بالإضافة إلى الفيلسوفة الوجودية الفرنسية "سيمون دي بوفوار" Simon De Beauvoir (1908– 1986).

أما الحدث التاريخي المهم الذي أثر على حياة "دالي" الفكرية هو انعقاد المجمع الفاتيكالي الثاني عام 1965، الذي كانت ترى فيه شعاعًا من الأمل بالنسبة للقضايا النسوية، حيث استطاعت "دالي" حضور بيان الاجتماع الختامي للمجمع بعد أن استعارت هوية إحدى الصحفيات، وتقمصت دور الصحفية، ودخلت إلى قاعة القديس بطرس، وحضرت مستمعة، لكن جاء بيان المجمع مخيبًا للآمال من وجهة نظرها، ولا

(3) Ann– Marie Kort: Deliver us from Evil: Bad Versus Better Faith in Mary Daly's feminist, writings linguistic, 2nd ed, laud linguistic Agency university of Duisburg– Essen, 2007, pp. 4–5.

(ISSN : 2536 - 9555)

سيما عدم الرغبة في إصلاح الكنيسة(*)، كما جاءت التعاليم الدينية والوثائق الصادرة باللاتينية غير مفهومه تمامًا من جانب القراء والمستمعين، ومن هنا بدأت في كتابة باكورة إنتاجها الفكري "الكنيسة والجنس الثاني The Church and the Second Sex، الذي لا يعد ثمرة من ثمار الموجة النسوية الثانية(*)، التي تمثلها "دالي" بقدر ما هو رد فعل قوي على الكنيسة الكاثوليكية والمجمع الفاتيكاني الثاني. فهذا الكتاب لم يكن له حظ الوجود لولا المجمع الفاتيكاني الثاني، والموضوعات التي طرحها للنقاش. أضف

(*) تقول "دالي" في كتابها الكنيسة والجنس الثاني عندما استعمل كلمة الكنيسة هنا وفي أى مكان من كتاباتي فإنني لا أقصد بها الكنيسة الكاثوليكية فحسب ولكنها تتضمن الكنائس– بوجه عام– المؤكدة لتجلي ديانات السلطة الأبوية. وانظر:

- Mary Daly: The Church and The second sex, op. cit, p. Xii.

(*) تمثل "دالي" ما يعرف باسم الموجة النسوية الثانية؛ وتشمل هذه الموجة النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديدًا الفترة من 1960– 1990 وقد استفادت– هذه الموجة– وتأثرت بكتابين هما أصل العائلة لفردريك انجلز F. Engels (1820– 1895) وكتاب سيمون دي بوفوار الجنس الآخر وهو الكتاب الذي يعد الأكثر تأثيرًا على فكر ماري دالي بصفة خاصة– ولقد تضمنت هذه المجموعة عددًا كبيرا من فلاسفة النسوية لعل أبرزهم بالإضافة دي بوفوار، ودالي كل من بيتي فريدان وروزماري روثر R. Reuther (1936–) وإليزابيث شوسلر فيورنتسا E. S. Fiorenza (1938–) وغيرهن. انظر:

- J. M. Wood: Patriarchy, Feminism and Mary Daly: A systematic Theology– Theological enquiry into Daly's engagement with gender issues in Christian Theology, Doctoral Dissertation, university of South Africa, Pretoria, 2013, pp 78– 85.

وهناك نسويات متعددة لعل أبرزها ثلاثة هي النسوية الليبرالية والنسوية الماركسية والنسوية الراديكالية: فالنسوية الليبرالية تنادي بحقوق النساء في المساواة مع الرجال والمواطنة والإصلاح السياسي في حين ركزت النسوية الماركسية على الظلم الذي تتعرض له النساء داخل النظام الرأسمالي، أما النسوية الراديكالية فقد أكدت على القمع الذي تتعرض له النساء داخل السلطة الأبوية وسيطرة الرجل على المرأة. انظر:

- Jane Freedman: Feminism, Open University press, Buckingham, Philadelphia, 2000, p. 5.

إلى ذلك أن هناك حافزًا آخر بالنسبة "لدالي"، تمثل في مقالة الفيلسوفة الكاثوليكية "روز ماري لور" Rosemary Lauer ونقدها المعاصر للمعاملة الكنسية للنساء. لكنها ظلت على هويتها بوصفها كاثوليكية، أضف إلى ذلك تأثر "دالي" بالعديد من أعمال فلاسفة النسوية المعاصرين أمثال "فرجينا وولف" V. Woolf (1882- 1941)، "وبيتي فريدان" Betty Friedan[4] (1921- 2006)، روبين مورجان R. Morgan (1941-) وغيرهن.

ولقد خلصت "دالي" إلى أن المجمع الفاتيكاني الثاني لم يكن لديه الكثير لكي يقوله فيما يتعلق بالنساء تحديدًا. وهذا يعني أن قضايا الإصلاح والتحرير في رأى "دالي": قد ظلت خطًا أحمر كما هي دون الاقتراب منها مثل قضية الاجهاض Abortion التي لم تكن مسألة مطروحة أو مفتوحة للنقاش حتى بين الكاثوليك الراديكاليين حتى منتصف الستينيات. وتعد "دالي" نفسها أول من نوه لهذه القضية (في الفصل الثالث من كتابها الكنيسة والجنس الثاني) موضحة الغموض الأخلاقي المستبد المرتبط بهذه القضية، بالإضافة إلى قضايا أخرى مثل تحديد النسل Birth Control، وكذلك القضايا العقدية المرتبطة بالمساواة، وترى أنه على الرغم من تصريح البابا بولس السادس Pope Paul vi (1897- 1978) الذي يعد واحدًا من دعاة الإصلاح ومن المنادين بالمساواة فإنه قد فشل في تحديد مضامين المساواة[5]، ومن ثم فقد أصبحت النساء تابعات خاضعات ذليلات مغلولة الأيدي عن طريق ولاء غير حقيقي في ارتباطهن بالأسياد بوصفه نموذجا أصليا، وهو ما لاحظته- أيضًا- "جين كيبوتي" Jane Caputi (1953-) واتفقت فيه مع "دالي" حيث رأت أن النساء قد أصبحن سجينات لولاءات غير حقيقية، ولعبودية، وقتل مباشر للنساء بأدوات تشريعية[6].

وعلى أي حال فقد عادت "دالي" من فرايبورج إلى "بوسطن" Boston عام 1966، واستمرت في تكملة كتابها "الكنيسة والجنس الثاني" الذي كانت قد كتبت فصوله الخمسة

([4]) Mary Daly: op. cit., pp. 9-11.

([5]) Ibid, pp. 121- 122.

([6]) Ibid, p. XXV.

(ISSN : 2536 - 9555)

الأولى في فرايبورج، وأكملت باقي الكتاب في أمريكا[7]، ثم عُينت أستاذًا مساعدًا في كلية بوسطن، وتم إسناد تدريس مقرر الأخلاق النسوية إليها، فحدَّثت "دالي" وجهة نظر جديدة تعتمد على وضع لائحة خاصة لهذا المقرر عن طريق جدول محاضرات، فصلت فيه الإناث عن الذكور، ولقد دافعت "دالي" عن وجهة نظرها، فرأت أنه لا يوجد أمان داخل حرم الجامعة كي تتحدث الإناث عن مشكلاتهن، وخبراتهن، ونضالهن على نحو صريح بدون أصداء اجتماعية أو أكاديمية[8].

وبعد أن نشرت "ماري دالي" كتاب الكنيسة والجنس الثاني عام 1968 قررت إدارة كلية بوسطن طردها، لكن هذا الطرد قوبل باحتجاجات طلابها، وزملائها من الأساتذة، وأرسلوا خطابات تنديد بالواقعة واتهموا كلية بوسطن بتدبير المكيدة "لدالي"[9]، لكن دالي استطاعت أن تكسب المعركة في الجولة الأولى وذلك عن طريق تعبئة الطلاب وحشدهم، مما اضطر إدارة الكلية لإلغاء قرار فصلها لكن هذا الموقف جعل "دالي" تزداد صلابة، وأعلنت أن موقفها من الكنيسة يمثل صراع بين المبادئ والسلطات[10].

وعلى ذلك شرعت "دالي" في مشروعها اللاهوتي الفلسفي الذي لم يكن نوعًا من الترضية أو تسوية الخلاف مع السلطة الأبوية بقدر ما هو تأكيد الوجود الحقيقي للنساء. فدعت إلى قراءة التاريخ الاجتماعي الإنساني الذي رأته سجلاً من الزيف والتناقض، والنفاق المتمثل في التمجيد الزائف، والتحيز الجنسي، ضد النساء، وطمس لتاريخ النساء.

([7]) Ibid, p. 11.

([8]) Christopher D Rodkey: Mary Daly in the Palgrave Hand book of Radical theologies and philosophies, ed. by Christopher D. Rodkey and Jordan E. Miller, Palgrave Macmillan, 2018, p. 155.

([9]) Ibid, p. 156.

([10]) Eileen Manion: Mary Daly's pure lust Canadian Journal of political and social theory/ Revue canadienne de Theories et social, Vol. IX, No. 3 (fall/ Autumn, 1985), p. 134.

كما دعت "دالي"– أيضًا– إلى إعادة قراءة تاريخ الفلسفة واللاهوت وتراث آباء الكنيسة، وذلك في محاولة منها للقيام بتحد، ونقد للتحيز ضد النساء من ناحية، وإبراز المنهج النسوي في مثل هذه المجالات عن طريق القيام بعملية تعديل تاريخي، وفلسفي، لغوي، ولاهوتي يغلب عليه الطابع النيتشوي.

ومن هذا المنطلق فقد مر مشروع "دالي" بثلاثة أطوار: أولها النقد والإصلاح، وثانيها النقض والإطاحة وثالثها الطور الثوري.

أولاً: طور النقد والإصلاح:

يعد كتاب "الكنيسة، والجنس الثاني" هو أول لبنة في مشروعها النقدي الاصلاحي للاهوت النسوي، وهو الأساس لكل كتاباتها اللاحقة، الذي كتب على حد قولها بمشاعر ثلاثية عظيمة اختلط فيها الكبرياء مع الحزن المشوب بالغضب والأمل[11]، إذ كان يحدوها الأمل في اصلاح الكنيسة من أجل إحداث تغيير حقيقي في مكانة المرأة داخل الكنيسة، وتحريرها من ظلم البطريركية، أو السلطة الأبوية التي تعرفها "دالي": بأنها القبضة أو السيطرة الذكورية على المجتمع، فكل المؤسسات الشرعية بالكامل في أيدي الذكور، والقليل منها يتبع النساء في ظل مجتمع يتسم بالاضطهاد، والقمع أو الظلم والكبت، والأنانية، والوحشية، والقسوة، والتمييز الجنسي والعنصري، فهو مجتمع مؤسس على التناسل والتكاثر، والإنجاب، ثم تدمير، وإبادة الحياة[12].

ومما هو جدير بالملاحظة أن "دالي"– في هذا الكتاب– قد نظرت إلى السلطة الأبوية الواردة في الأديان على أنها بناء لكن هذا البناء ثم تأسيسه على قمع، وظلم، واضطهاد النساء كل ذلك باسم الدين وسعت "دالي" في هذا الكتاب إلى تفكيك النصوص اللاهوتية لهذه البنية التي تخدم مصالح السلطة الأبوية من ناحية، والتي يغلب عليها النزعة الأسطورية من ناحية ثانية، ثم أرادت في النهاية أن تقوم بعملية الإصلاح أو إعادة البناء.

([11]) Mary Daly: The church and the second sex, op. cit, p. 5.

([12]) Mary Daly: Amazon Grace, Recalling the courage sin Big, Palgrave Macmillan, N.Y, 2006, p. 53.

(ISSN : 2536 - 9555)

ويتمثل هذا التفكيك– عند "دالي" في قراءتها للأناجيل، ولرسائل بولس من أجل إظهار اللامساواة والتحيز الجنسي ضد النساء في محاولة مليئة بالصعاب.

ولقد تأثرت "دالي" في كتابها هذا بكل من كيركيجورد Kierkegaard (1813–1855) فأخذت عنه مفهوم الوثبة أو القفزة Leap، لكن "دالي" استخدمتها على نحو مغاير. فالوثبة عند "كيركيجورد" نوع من الإيمان، في حين أن قفزة "دالي" هي قفزة لما هو أبعد من الإله الأب.

كذلك فقد تأثرت بفيورباخ Feuerbach (1804– 1872) وفكرته القائلة بأن الرب ما هو إلا إنسان مثالي، وترى "دالي" أن هذا الحكم غير صحيح، ولكنه غير صالح لأن يرمز إلى المسيح أو مريم[13]، كما يظهر تأثرها العميق بنيتشه Nietzsche و(1844– 1900) ومفهومه عن موت الإله من أول صفحات الكتاب، إن لم يكن من بداية فقراته.

وعلاوة على ذلك فقد تأثرت– أيضًا– في مشروعها "بسيمون دي بوفوار"، لكن "دالي" كانت أكثر شراسة في منهجها النقدي، ويظهر هذا التأثر في التشابه الواضح بين عنوان كتاب "دالي" الكنيسة والجنس الثاني، وعنوان كتاب "دي بوفوار" "الجنس الآخر" الذي يعد بمثابة الشعلة التي ألهبت حماس "دالي" ورفيقاتها فقد استشهدت بها "دالي" في هذا الكتاب حوالي عشر مرات علاوة على أنها قد أفردت الفصل الأول من كتابها للحديث عنها بوصفها حالة ضد الكنيسة.

بيد أن هذا لا يمنع من وجود اختلافات بين "دي بوفوار" و"دالي"، وهو اختلاف بين اليأس، والأمل، فقد كان لدى "دي بوفوار" يأس من إصلاح الكنيسة في حين أن "دالي" كان يحدوها الأمل الحقيقي على الرغم من أنها لم تركز عليه بوضوح كاف[14]، أضف

(13) Mary Daly: Beyond God the Father, toward a philosophy of women's liberation, Beacon press, Boston, U.S.A, 1985, p. 81.

(14) Anno Feminarum: Feminist post Christian Introduction Acritical Review of the Church and the Second Sex in Mary Daly's book the church and the second sex, Beacon press, Boston, 1985, p. 47.

إلى ذلك أن منهج "دالي" كان أكثر راديكالية من "دي بوفوار"، فقد كانت "دي بوفوار" على استعداد لتقبل وجهة النظر المحافظة للكنيسة الحقة، أما "دالي" فقد اقترحت بديلاً يتمثل في محاولة تغيير العناصر السلبية المدمرة للكنيسة، ولقد انتهت "دي بوفوار" إلى رفض المسيحية بوصفها أقنعة موروثة، ومرهقة من الماضي، في حين اعتقدت "دالي" أنه لا ينبغي للمرأة أن تختار فلسفة اليأس، ولكن بالأحرى عليها أن تتمسك بلاهوت الأمل، وانتقدت "دالي" "دي بوفوار" ورأت أن رفضها للمسيحية لم يكن ردًا بقدر ما هو هروب، ولكن العجيب أن "دالي" قد أصابها ما أصاب "دي بوفوار" فبعد محاولات النقد والإصلاح شعرت بالإحباط وانتهت إلى رفض المسيحية[15]، فقد أعربت عن خيبة أملها، ورأت أن الكنيسة لم تستجب لأى إصلاحات فيما يخص قضايا النساء في النظر إليهن نظرة عادلة مساوية للرجل.

إن المشكلة في مشروع "دالي" أنها أرادت أن تفهم الكنيسة بأنها ليس مجرد مؤسسة فحسب، ولكن- أيضًا- بوصفها حركة موجودة في العالم. إن هذه الرؤية الثنائية قد سمحت "لدالي" بالطبع أن تؤدي دورها في مطالبة الكنيسة بتحقيق المساواة، والتوازن في الداخل والخارج، والموائمة بين النظرية والتطبيق، وقد ظلت "دالي" حتى النهاية متمسكة بأمل أن تصبح الكنيسة حركة[16] وعلى ذلك راحت "دالي" تفتش وتبحث وتمحص في كتابات الآباء اللاهوتيين من أجل إعادة تقييم الكنيسة متبعة منهجًا نقديًا إصلاحيًا للكنيسة الكاثوليكية هدفه السماح للنساء بالسمو وتجاوز المعوقات وذلك عندما تقوم الكنيسة بدورها المنوط به في تحرير النساء.

لقد بحثت "دالي" في اللاهوت فوجدته أشبه بكائن حي، بمعنى أن تأثير المرض في عضو من أعضاء الكائن الحي يمتد تأثيره ليشمل باقي أعضاء الجسد، ومن ثم فإنه ليس كافيًا أن نشفي العرض دون استئصال المرض أو علاجه، بيد أن الشفاء الظاهري

(15) Mary Daly: The church and the second sex, op. cit, pp. 221- 223.

(16) Anno Feminarum: op. cit, p. 39.

(ISSN : 2536 - 9555)

العاجل ربما يكون قناعًا أو مظهرًا للحقيقة القائلة بأن المرض ما زال موجودًا في المستوى الأعمق، ومهيئ أو جاهز لأن يظهر بصورة أخرى[17].

ومن هذا المنطلق حاولت "دالي" أن تضع يدها– من الناحية المبدئية– على جذور المشكلة اللاهوتية والتحريفات المعادية للنساء فرأتها موجودة في التصورات والمفاهيم، والمجازات المتعلقة بمفهوم الإله، فاتفقت مع "سيمون دي بوفوار[18] في أن كثيرًا من الأشخاص في الديانات الغربية ممن يتسمون بالذكاء ليسوا على وعي بعمق النتائج المترتبة على هذه المشكلة أو يتصورون الإله الأب على أنه رجل عجوز بلحية يعيش في السماء العلا، لكن هذا أمر صبياني أو مناف للعقل كي يؤخذ على محمل الجد– من إنسان عاقل، وفي الواقع أن ظلال هذا الرجل العجوز موجودة ومستمرة حتى لدى أصحاب اللاهوت التأملي، وفي العظات، وفي نصوص الكتب، والطوائف الدينية[19]، أضف إلى ذلك أن صورة الإله الغيور المنتقم كان لها تأثيرها المدمر في الحضارة المسيحية، كما ذهب إلى ذلك أرنولد توينبي Arnold Toynbee (1889– 1975). وتتفق معه "دالي"، وترى أن هذه الصورة ربما تكون إسقاط أو تبرير للدور الظالم الذي قام به الآباء في المجتمع البطريركي[20].

والسؤال المطروح الذي تطرحه "دالي" كيف يتم إصلاح اللاهوت الكنسي الذي بنى وتأسس على كراهية النساء- وكيف يمكن استئصال هذه الكراهية المؤسسة على نزعة ذكورية؟ ومن ثم طالبت "دالي" بسموها عن ذلك التحيز الخاص بالعقيدة المسيحية، وهذا الأمر لا يمكن أن يحدث على نحو مستقل؛ لأن دعاة التقدم بالنسبة للمسائل التي تخص النساء في الكنيسة سوف يكتمون هذا الفكر لما له من تأثير عميق، كما أن جذور المرض عميقة، ومعقدة، وبالتالي لا يوجد علاج أو شفاء عاجل لهذا المرض

([17]) Mary Daly: The church and the second sex, op. cit, p. 179.

([18]) سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر (ج2) التجربة الحياتية، ترجمة د/ سحر سعيد، دار الرحبة، دمشق– سوريا، 2015، ص35.

([19]) Mary Daly: The church and the second sex, op. cit., pp. 179– 180.

([20]) Ibid, p. 188.

لذلك سعت "دالي" إلى تطوير لاهوت أنثروبولوجي تحرري وفعال يدرس الشخصية الإنسانية، والعلاقات الاجتماعية من وجهة نظر تطورية جذرية، يسعى إلى تطوير لاهوت العلاقة بين الرجل والمرأة الذي يرفض الاغتراب لكلا الجنسين الموجودة في فكرة التسلسل التراتبي الهرمي، لكن المعوقات تنبع من المجتمع الذي يحيا ويعمل فيه اللاهوتي[21].

وتتفق الفيلسوفة الفرنسية "لوس اريجاري" Luce Irigary (1930–) في هذا الصدد مع "ماري دالي" في أن وضع المرأة يذكرنا بنظرة "كارل ماركس" K. Marx (1818– 1883) للطبقة العاملة (البروليتاريا). فعلى حد تعبير ماركس هي في المجتمع ولكنها ليست من المجتمع، لكن "دالي" تختلف معه في رأيها الذي يذهب إلى أنه يتعين على المرأة الارتباط برجل حتى يكون لها شخصية اجتماعية[22]، وهذا الأمر محل رفض من جانب "دالي".

وقد عبرت "دالي" عن ذلك قائلة "في الواقع أن اللاهوتي لا يحيا في عالم أفلاطوني، ولكن في مجتمع إنساني، فمن السذاجة أن نفترض أن الانحياز القديم يمكن أن يستمر في عقيدة إذا كانت هذه العقيدة لا تحظى بتأييد وتبرير واضح من قبل الظروف الحقيقية للنساء داخل الكنيسة ذاتها وفي الأوساط العلمانية"[23].

وتذهب "دالي" إلى أن إقصاء النساء داخل الكنيسة الكاثوليكية من الاقتراب تجاه التعاليم اللاهوتية مستمر. فاللاهوتيون– كلهم– ذكور لا يعنيهم الاهتمام بمشكلات الجنس الآخر في صراع النساء لتحقيق المواطنة بالدرجة الأولى، فالإبقاء على جهلهن باللاهوت والقانون الكنسي، والحقائق السياسية للكنيسة جعل النساء يفتقرن إلى الوعي بموقفهن حتى في الحالات اللاتي يمتلكن فيها القدرة على المعرفة فإنهن يجدن قنوات

([21]) Ibid, p. 189.

([22]) جون ليشته: خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008/ ص332.

([23]) Mary Daly: The church and the second sex, op. cit, pp. 189– 190.

(ISSN : 2536 - 9555)

قليلة للاتصال المفتوح بالنسبة لهن[24]، تقول "دالي": "لن يكون هناك مساواة حقيقية في العلاقة بين الرجل والمرأة داخل الكنيسة– في المستقبل– طالما أنه يتم استبعاد الأشخاص الحاصلين على أعلى الدرجات من الكهنوت بسبب جنسهن ليس إلا، فالموقف مختلف بالنسبة للنساء ذلك لأنهن ليس لديهن أى خيار على العكس من الرجال الذين لديهم خيار إما أن يكونوا كهنة أو علمانيين[25].

وتتفق "ماري دالي" مع الفيلسوف اللاهوتي السويسري "هانس كونج" Hans Kong (1928–) على أن هناك عاملين يجب أخذهما في الاعتبار فيما يتعلق برسم النساء كاهنات داخل الكنيسة: أولاً أنه لا يوجد عقيدة أو أسباب من الكتاب المقدس تحول دون ذلك وثانيهما العوامل النفسية والاجتماعية، فحل هذه المشكلة يعتمد على الظروف الاجتماعية الزمانية المكانية المرتبطة بالظروف الثقافية والحضارية[26].

وتحتكم "دالي" و"كونج" إلى قاعدة عدم ورود نص مانع أو محرم لدخول النساء المجمع الكنسي أو تدرجهن في الكوادر أو السلك اللاهوتي، وهما في ذلك يحتكمان إلى قاعدة الإباحة التي تقضي بترك الأمور معلقة بحسب توفر الإمكانيات والأجواء الملائمة لمشاركة المرأة في ذلك، وتعني أن حجة النزعة الذكورية التي تمنع النساء من الاشتغال باللاهوت والكهانة ليس لها أساس أو أصل في الكتاب المقدس.

وتخلص "دالي" إلى القول إن فكرة قيادة المرأة قداس نسوي في كنيسة كاثوليكية يشبه القول باقتراح وجود دائرة مربعة في الهندسة، أى أن كليهما مستحيل[27]، وبالتالي لا أمل للنساء في أن تنصفها الكنيسة في ذلك على الرغم من أن فكرة كون المرأة كاهنة في الكنيسة، وقيامها بالتمجيد باسم الأب والابن والروح القدس ليست ظاهرة معقدة، لاسيما عندما نعد يهوه Yahweh (الذكوري) هو اشتقاق باهت من الإلهة Goddess، الذي كان أحد أسمائها Iahu ثم انتقلت إلى المسيحية فأصبحت هذا الثالثوث في واحد.

([24]) Ibid, p. 190.

([25]) Ibid, p. 197.

([26]) Ibid, p. 201.

([27]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 145.

فهم غالبًا ما يتحدثون عنها بوصفها ثالوثا، محاولين إيجاد نوع من الرمزية من أجل الاعتقاد الأحمق لفهم هذا السر[28].

وعلى ذلك انتقلت "دالي" إلى النقد بعد أن أيقنت تماماً أن محاولاتها من أجل الإصلاح والتغيير أصبحت عقيمة وباءت بالفشل، وتآكلت كل الآمال.

ثانياً: طور النقض والإطاحة:

في هذا الطور هاجمت "دالي" الكنيسة الكاثوليكية بصورة راديكالية وبكل ضراوة، حيث رأت أنها تغرس قيمًا مضادة للعدل، لذلك اتجهت إلى النقض، أى نقض القراءات، والتأويلات الخاصة بالنصوص المقدسة، ونصوص الآباء، وبدأت تتطلع إلى لاهوت نسوي جديد، يحفظ للمرأة كيانها عن طريق ما يعرف بالإلهة الأنثى، ذلك لأن اللاهوت التقليدي الذكوري قد صادر على حق النساء في الوصول إلى المتعالي أو المقدس.

أى أن "دالي" قد انتقلت من الثيولوجي Theology أى اللاهوت، الذي يُعنى بدراسة الله وصفاته وأفعاله وعلاقته بالعالم إلى الثيالوجي Thealogy، الذي يتمثل في التأمل العقلي المتعلق بالإلهة الأنثى وعلاقتها بالعالم بوجه عام، وبالإنسان بوجه خاص، وتحولت في هذا الطور إلى ما بعد المسيحية Post-Christian.

وتجسد هذا التحول في إعلانها الإلحاد Atheism عام 1975، وكفرها بالمسيحية بوجه عام، والكاثوليكية بوجه خاص، فصرحت بذلك في كتابها "ما هو أبعد من الإله الأب" Beyond God the Father، الذي يرمز عن طريق عنوانه إلى أن السلطة الأبوية مصطلح إنساني متحيز؛ لذلك تجاوزت مفهوم الإله.

و ذهبت "دالي" إلى أن هذا الكتاب يعد تكملة أو تتمة لكتابها الأول الذي دعت فيه إلى الإصلاح، فهذا الكتاب قد فتح الأبواب الموصدة، وحدد المسارات، وفتح المجالات لاستمرار رحلتها تجاه دراسة علم النساء Gyn /Ecology، ودراسة اللذة أو الشهوة المحضة[29]. فإذا نظرنا إلى علم دراسة النساء نجد أن "دالي" قد قطعت في هذا الكتاب

([28]) Mary Daly: Wanderlust/ Wonderlust: Re: membering, The Elemental Powers of Women, Dalhousie Review, Vol. 64, No.4, 1985, p. 682.

([29]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. xi- xii.

(ISSN : 2536 - 9555)

كل ما له صلة بالمسيحية، وأحلت الإلهة الأنثى محل الإله الذكوري، وعملت على تمجيدها، وامتدحت الاعتقاد بالسحر، الذي كان سائدًا في العصر الأمومي، ودعت في هذا الكتاب صراحة إلى العلاقة بين المرأة والرجل، ورفضت بشكل قاطع كون الرجل مكملاً للمرأة وليس العكس كما أنها تتجاوز هذه الأفكار جميعها في كتاب الشهوة المحضة، وتتبنى المقولة إن الشهوة فضيلة تمكن الإنسان من الوصول إلى السلطة الكاملة[30]. ولعل في هذا القول إشارة لرفضها للمسيحية التي تحارب الشهوات، كما أنها متأثرة ببول تيليش الذي قال "يجب أن نخاطر بتأكيد اللذات حتى لو ثبت أنه في مخاطرتنا خاطئة لن يكون المرء مسيحيًا برفض اللذة أكثر مما يتقبل اللذة، ذلك لأن الرفض يتضمن رفض الخلق"[31].

وأكدت "دالي" أيضًا– في هذا الكتاب– على أن جحودها لتعاليم الكنيسة يمثل لحظة تاريخية فارقة من الانطلاق ومظهرًا من مظاهر الشجاعة، ودعوة لترك كل أديان الآباء[32]، فهي تريد أن تطبق منهج النقد التاريخي على اللاهوت التقليدي الذكوري بهدف تغيير مضامينه، حتى تصل إلى اللاهوت النسوي الراديكالي الذي يمثل شعارًا لها، ولقد عبرت عن ذلك قائلة "إن الراديكالية النسوية لا تعني المصالحة مع الأب، بل بالأحرى أنها تأكيد ميلادنا الحقيقي، ومصدر حركتنا الأصلي وقوتنا المفعمة بالحياة. كما أن الراديكالية النسوية لا تعني مطالبة النساء بالتضحية ببناتهن، أو إخبار الإناث بأن أمهاتهن قد ضحين من أجل وجودهن أى ليس على غرار ما يفعله الآباء في السلطة الأبوية[33].

([30]) محمد لغنهاوزن: في مواجهة النسوية تقابل في الرؤى والأهداف، مقال في كتاب المرأة، وقضاياها لمجموعة من المؤلفين، ط2، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2013، ص78.

([31]) بول تيليش: الوجود الجديد، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، لوجوس، القاهرة، 2003، ص181.

([32]) Mary Daly: Pure lust Elemental Feminist Philosophy, Beacon Press, Boston, 1984, p. 139.

([33]) Mary Daly: Gyn/ Ecology; The Meta Ethics of Radical Feminism, Beacon Press, Boston, 1990, pp. 39– 40.

وعلى ذلك فقد عملت "دالي" في مشروعها على محاولة إيجاد قراءة فلسفية ولاهوتية بديلة لتلك القراءات الأبوية المهيمنة على نصوص الكتاب المقدس، لكن جاءت تحليلاتها الفكرية مغايرة تمامًا للنصوص التقليدية، وقد سار على نهجها العديد من مفكرات اللاهوت النسوي المسيحي المعاصر، ونذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر جيردا ليرنر Gerda Lerner (1920– 2013) وفيليس تريبل Phyllis Trible وفيليس بيرد Phyllis Bird (1934–) وروزماري رادفورد روثر Rosemary Radford Reuther (1936–) وإليزابيث جونسون Elizabeth Johnson (1941–) وغيرهن ممن لا يتسع المقام لحصرهن.

وفي هذا الإطار يذهب دايفيد جاسبر D. Jasper (1951–) إلى أن التفسيرات التأويلية النسوية للاهوت لم تظهر إلا في مرحلة ما بعد الحداثة والرؤية التفكيكية للنصوص تلك التي سمحت لهن بالتأويل الحر، فوجدنا ثمار ذلك عند الناقدة الدانماركية "ميك بول" Micke Ball التي أعادت قراءة كتاب القضاة في العهد القديم بأن فككت الروايات ذات السلطة الذكورية البطريركية، وكشفت عن أصوات النساء المستترة في النص[34]، وعلاوة على ذلك فقد أسهم استخدام النظرية الهرمينوطيقية، والنقدية بوضوح في اللاهوت النسوي، حيث أسهما في الكشف عن تشوهات الماضي، وفهم الكثير من الأشياء المستقبلية التي تكمن فيما هو أبعد من التشوهات في ضوء أسئلة جديدة تم طرحها بواسطة النقد النسوي في بعده الديني والحضاري[35].

ثالثًا: الطور الثوري:

طالبت "دالي" النسويات في هذا الطور بثورة على ديانة الآباء، وألا يقفن مكتوفي الأيدي تجاه ما حدث، وما يحدث لهن، ومن ثم ينبغي الثورة على ديانة المؤسسات وعبرت "دالي" عن هذه الرحلة قائلة: "لا يمكننا أن ننتمي إلى الدين المؤسسي كما هو

([34]) دايفيد جاسبر: مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو: الدار العربية للعلوم والنشر، بيروت، 2007، ص159.

([35]) Anne car: Is A Christian feminist Theology possible? Theological studies, Vol, 43, No. 2, 1982, p. 283.

(ISSN : 2536 - 9555)

موجود، فأساس هذه الحركة ليس في الوعد الممنوح للآباء كما يزعم الذكور منذ آلاف السنين، ولكن بالأحرى فإن مصدرها هو الوعد الذي لم يتحقق بالنسبة لحياة أمهاتنا، وهو ما لم يسجله التاريخ الذكوري أبدًا، إن مصادرهم في الوعد الممنوح لاخواتنا اللواتي سرقت منهن أصواتهن. فوعدنا الخاص يكمن في إبداعاتنا، ويمكن لنا التأكيد أن وعدنا وخروجنا الثوري يتمثل في السير نحو المستقبل الخاص بنا. لقد حان الوقت لنأخذ مكاننا تحت الشمس، تاركين وراءنا قرون الظلام والصمت لنؤكد إيماننا وثقتنا بأنفسنا. إن إرادتنا تكمن في تجاوز هذه الأمور عندما نتحد سويًا[36]. ذلك لأن النسوية عند "دالي" هي التزام وتعهد بذكريات الماضي، والمستقبل السعيد في مواجهة الحضارة مع الأخذ في الاعتبار أن المعني البالي للحضارة قد أدى دوره بوصفه عملية مدنية آثمة بحق النساء[37]. ومن ثم فقد حدث "لدالي" نوع من التحول– أيضًا– من النسوية الراديكالية إلى نسوية ما بعد المسيحية، ووصفت "دالي" بالعديد من الألقاب، وإن كانت تفضل أن يطلق عليها فيلسوفة أكثر من كونها لاهوتية، فأطلق عليها فيلسوفة لاهوتية، وما بعد حداثية، وعلمانية، وغنوصية متمردة، وثورية، وأيضًا من ضمن نسويات العصر الجديد، أو أى شيء يبتكر للمسيحية في موضة ليذهب إلى ما هو أبعد من المسيحية، لكن "دالي" تؤكد أنها يمكن أن تكون أى شيء آخر عدا كونها مسيحية بالمعنى الذكوري دون أى اعتبار لما يترتب على ذلك من آثار[38]، وبالتالي صنفت كهرطوقية ملحدة، مزعزعة للأساسات متمردة، كما أنها طرقت طرقًا جديدة في إعادة تصورها للإله[39]. فصنفت

([36]) Mary Daly: Outercourse: the Be– Dazzling voyage, the woman press, London, 1993, p. 138.

وانظر: – Mary Daly: Beyond God the father, op.cit, p. 158.

([37]) Mary Daly: Pure lust, op. cit, p. 360.

([38]) Mary Daly: Outercourse, op. cit, p. 153.

([39]) Anna Beth Roeschley: A Mary Daly Reflection: from another perspective, water wheel Quarterly News letter of the Women's Alliance for Theology, Ethics and Ritual, Vol. 21, No. 1, 2010, www.hers.com.

على أنها إصلاحية، ثورية، وناقدة راديكالية، وانفصالية سلطوية، ووصفها البعض بأنها تنبؤية، ومبشره[40].

ولقد حددت "دالي" ثلاثة مراحل للثورة الروحية النسوية: أولها نقد، وتحليل ممارسات السلطة الأبوية التي تعد مسئولة عن قتل النساء أنفسهن، وثانيها نقض كل ديانات السلطة الأبوية، وثالثها استبعاد، ورفض كل الديانات الأبوية، ذلك لأن الرجال يهيمنون عليها، ومن ثم فإن الطبيعة الثورية للحركة النسوية تتمثل في الخروج من المجتمع إلى ما هو أبعد من الديانات الأبوية[41].

وعلى هذا الأساس نسفت "دالي" كل جسورها المؤدية إلى الكنيسة واللاهوت المسيحي والإيمان المسيحي فجاءت صياغاتها اللاهوتية مضللة أحيانًا، وصحيحة مؤلمة وقاسية من ناحية ثانية، وهدامة من ناحية ثالثة، وروح عدمية من ناحية رابعة فكانت ملائمة جدًا للصراع الفكري[42] وعبرت "دالي" عن ذلك قائلة "إن الكنائس الموجودة الآن ليست إلا قبوراً للنساء، وقد سبق أن قال نيتشه هي قبور للإله[43]، ومن هنا فقد تجاوزت "دالي" كل الحدود وهي تعي ذلك تمامًا، وعبرت عن ذلك بقولها "إذا كان تيليش قد وصف نفسه بأنه فيلسوف على الحدود بين الفلسفة واللاهوت، فإن كتابي ما هو أبعد من الإله الأب– ليس مجرد كتاب يقف على الحدود بين الأنظمة التي أنشأها الذكور لأنه يعبر علنًا عن خبرة نصف الجنس البشري[44]. ويعني ذلك أنها لا ترضي أن تقف موقفًا محايدًا بين الإيمان والإلحاد بل أن دعوتها ثورية ناقضة للإيمان الكنسي، ورافعة بكل جراءة راية الإلحاد انتصارًا للاهوت النسوي.

([40]) J. M. Wood: Patriarchy, Feminism and Mary Daly: op. cit, p. 191.

([41]) Ibid, p. 195.

([42]) Armin– Ernst Buchrucker: The Ordination of women and Feminist Theology, Logia, A journal of luthern Theology Feminism, Vol. IX, No. 1, Epiphany, 2000, p. 10.

([43]) Mary Daly: Beyond God the father, op.cit, p. 146.

([44]) Ibid, p. 6.

(ISSN : 2536 - 9555)

وإذا كانت "دالي" قد تأثرت في كتابها الأول "الكنيسة والجنس الثاني" بكل من "كيركيجورد"، و"فيورباخ"، و"نيتشه"، و"سيمون دي بوفوار" فإنها تأثرت في كتابها– ما هو "أبعد من الإله الأب"– "ببول تيليش" و"مرسيا إلياد" M. Eliade (1907– 1986) ونلمح– أيضًا– تحول "دالي" إلى الوجودية النسوية في كتابها "علم النساء"، وكتاب "الشهوة المحضة"، وكتاباتها اللاحقة– أيضاً– حيث نجد أنها تركز على السمة الانطولوجية للذاتية، ومن ثم فقد انتهت إلى الارتماء في أحضان الفلسفة الوجودية وذلك بما يخدم قضايا النسوية من حيث التركيز على الوجود النسوي الديناميكي الفعال مما يجعلنا نقول إنها بدأت متأثرة بالنزعة التحررية إلى أن أصبحت رائدة من رواد الوجودية الثورية الإلحادية.

ويتضح عمق فلسفتها الوجودية عندما تقول إن النسوية هي التحقق الفعلي للوجود الحقيقي للأنثى إنها مغايرة تمامًا للنسويات الزائفة المفتعلة بواسطة الآباء[45].

إن هدف "دالي" هو دراسة الثورة النسوية من أجل تحويل الوعي الإنساني ومخرجاته أى توليد صيرورة إنسانية، فإذا كانت كلمة لاهوت قد تم تقسيمها، وتحريفها من حدودها الأصلية وسياقاتها المتعددة، فإنها تسعي لإبداع لاهوتي شأنه في ذلك شأن الفلسفة تمامًا[46]، أى أنها لا تخضع لتأويلات أو تفسيرات مانعة لقراءتها عدة مرات بمنحى ثوري حر.

كما أكدت أن اهتمامها الأساسي لا يقتصر على المساواة أو التحاق النساء بالكهنوت فحسب، ولكن الاستقلال والدخول إلى معرفة الرب بلا واسطة[47]. حيث الاتصال المباشر والوصال والأنس بلا رهبنة.

وتشبه "دالي" مطالب النساء وبحثهن بشدة عن تعامل مقبول وعادل داخل الكنيسة بمطالب الأشخاص السود في سعيهن نحو المساواة[48] بالبيض الممثلين لمنظمة كو كلوكس كلان[49]. Ku Klux Klan.

([45]) Mary Daly: Pure lust, p. 194.

([46]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 6.

([47]) Ann– Marie Korte, op. cit, p. 5.

ونخلص من ذلك إلى أن "دالي" قد تبنت في فلسفتها الرؤية النقدية بأبعادها الثلاثة التي تبدأ بمواجهة النص اللاهوتي بالعقل الحر، ثم مرحلة الغربلة أو النقض بعد إثبات تهافت الرؤى والتصورات المنهزمة أمام العقل، وأخيرًا الثورة، واستبعاد ذلك الركام والأفكار الفاسدة، والآراء العقيمة لإتاحة الفرصة أمام العقل النسوي للإبداع، واسترداد الموقع الذي يليق بالمرأة في الوجود، وفي الاتصال بالإله، الذي طالما حال المجتمع الذكوري بين المرأة وإنسانيتها الكاملة، ذلك لأن الكمال عند "دالي" لا يعني مساواة المرأة بالرجل، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فالمرأة كائن مبدع بطبيعته، ووهي قادرة دومًا على الاستقلال الذاتي ومستطيعة أبدًا للتفسير، والتأويل بمنأى عن السلطات المحيطة بها.

2) **رحلة ماري دالي من الحداثة إلى ما بعد الحداثة**:

بداية يمكننا القول بأن رحلة دالي العقلية هي رحلة نسوية لولبية تتسم بحركة جدلية بين السلب والايجاب، كما أنها رحلة ميتافيزيقية من الوعي بالسلطة الأبوية إلى ما هو أبعد من السلطة الأبوية، رحلة تعانقت فيها الميتافيزيقا بالأسطورة من ناحية، والفلسفة باللاهوت من ناحية ثانية نتيجة خبرات طويلة من الدرس والبحث والفحص، رحلة إلى عالم أخر other World مليء بالعواصف، سلكت خلاله طريق طويل شائك رسمته لنفسها، احتاجت فيه إلى رسم خرائط ذهنية للوصول إلى أحلام مستحيلة المنال، فقامت برفض الأنساق اللاهوتية التقليدية المتمركزة حول المذكر أو السلطة الأبوية التي كانت سببًا في شعور النساء بالاغتراب، ومن ثم فإن هذه الرحلة هي من أجل التحرر والعودة إلى الجذور أو الأصل من أجل أن تحقق النساء ذواتهن، والتخلص من قمع السلطة

([48]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 6.

([49]) كو كلوكس كلان Ku klux Klan هو اسم يطلق على عدد من المنظمات الأخوية في أمريكا يتم اختصارها في K.K.K ويرجع أصلها إلى كلمة كو كلوس اليونانية وتعني الدائرة، ويرجع ظهور هذه المنظمات لعام 1865 بولاية بولاسكي وتؤمن هذه المنظمات بالتفوق الأبيض، ومعاداة السامية، والكاثوليكية، وكراهية المثلية، وتستخدم العنف والإرهاب وممارسات تعذيبيه كالحرق على الصليب لاضطهاد من يكرهونهم مثل الأمريكيين الأفارقة وغيرهم، ومعارضة تحرير العبيد، ونددت جميع الكنائس المسيحية تقريبًا بأفعالهم.

http://ar.m,wikipedia.org.wiki,kukluxklan

(ISSN : 2536 - 9555)

الأبوية، إنها دعوة اختيارية للنساء الراغبات في التحرر على أمل قبول الرحلة، فهذه الرحلة بمثابة خطاب رمزي للرحالة أو إن شئت فقل القراء الذين يريدون مواصلة فكرها من خلال كتاباتها، ومن ثم فإنها تقوم بعملية غزل ونسج للأفكار وللأساطير الخاصة بالسلطة الأبوية على حد زعمها المتكرر في كل كتاباتها بلا استثناء.

بدأت دالي بوصف رحلتها على أنها رحلة فيلسوفة نسوية راديكالية إلى عالم آخر، عالم رمزي يختلف عن عالم السلطة الأبوية، فهي على وعي تام بالصراع الذي يحفظ لها تقدمها وتستطيع أن تحقق ذاتها على الرغم من الاحباط والحيرة التي تسببها شياطين السلطة الأبوية والتي تزعم دالي محاولة كبح جماحها واعتمدت في مخطط رحلتها على مصادر ثلاثة مترابطة هي بعض المعارف الماضية، والخبرات الحاضرة والآفاق المستقبلية ذلك من أجل التعامل مع خطايا الآباء المتجسدة في فكرهم والذين تصورهم دالي بشياطين تحاصر حجب السجن العقلي والجسدي والعاطفي والروحي الذي تمثله السلطة الأبوية أي من عالم الخداع المتمثل في مركزية العقل الذكوري إلى التطلع إلى عالم آخر هو عالم التمركز حول الأنثى الذي يمثل الجذر أو الأصل[50]، إنها رحلة فكرية ودعوة إلى بلد مختلف نظرًا إلى أن هذا البلد المغاير أو الغريب يمثل موطن النساء[51].

وطالبت دالي النساء الجديرات بالرحلة أن يوسعن من خيالهن الداخلي فهن وحدهن اللاتي يستطعن اختيار الطريق الذي ينبغي السير فيه من أجل اكتشاف سر تاريخهن الخاص بهن والارتباط ببعضهن البعض[52]، لأن الرحلة كوكبية والرحالة من المعنيين بحفريات المعرفة أي أنهن لسن متدينات ولا ملحدات في بحثهن عن المبدأ الأصلي وإنما غنوصيات متمردات ساخطات Nag–Gnostics وهن بحاجة إلى أن يضعوا في الاعتبار الشك والوعي المتكرر بشيء ما مثل مشكلة، وحل، وموقف. ولقد وصفت دالي نفسها بهذا اللقب فقالت "إنني غنوصية متمردة على وعي تام بحقيقة المعرفة المتعالية،

(50) Mary Daly: Gyn/ Ecology: op. cit, pp. xvii– xxii, p. 1, p. 402.

(51) Mary Daly: wander Lust/ wonder lust, op. cit, p. 666.

(52) Ibid, p. xivii

وفي الوقت ذاته يجب أن لا نكف عن التمرد أو أن نجعل الآخرين يتوقفون عن الشك والوعي"[53]. ولعل ما تقصده دالي بذلك أنها رافضة وناقضة للأوضاع السيئة من جانب السلطة الأبوية، ومن أجل ذلك فقد دعت نساء الرحلة أن يكونوا ساحرات متوحشات في مهمة طويلة شائكة وصعبة كما أنها دعوة أيضا لكل النساء من أجل الإبداع مع الرمز النسوي المتمثل في الساحرات.

فالهدف من الرحلة هو التحرر الذي يتضمن طرد الشياطين والأرواح الشريرة المنضوية تحت سلطان الإله الأب في مختلف تجلياته. إنها تتضمن التلاقي الخطير مع هذه الشياطين داخل التقاليد المسيحية وخصوصًا التي سادت فترة العصور الوسطى. تقول دالي إن الأرواح الشريرة غالبًا ما ترتبط بالأخطاء السبعة المهلكة التي ارتكبها الآباء وهي التكبر والبخل أو الجشع والغضب، والشهوة، والنهم، والحسد، والكسل[54]. وتضيف دالي أخطاء ثمانية أخرى ارتكبها الآباء لخداع النساء وهي الأنانية، والعدوانية، والتسلط، والاضطهاد، والتهميش، المصادرة، التعالي، التحايل[55]، ولعل ما تقصده دالي بطرد الشياطين التي تتحدث عنها هو شياطين القمع أو الظلم أو التحيز الجنسي الذي كرست له الكنيسة الكاثوليكية التي سلبت النساء طاقتهن لدرجة أن الكنيسة أصبحت عاجزة عن مواجهته أو وضع حلول لهذه المشكلة.

وعلى ذلك فإن الرحلة تتضمن المواجهة، وتتجاوز حالات الأنانية مع الاحتفاظ بالخلفية الذهنية المتمثلة في الهوية أو المشخصات أو السمات المرتبطة بالماضي المأسوي والهمجي تجاه النساء وهو ما قام به بعض فلاسفة اليونان، ومفكري العصر الوسيط في أوروبا ومن ثم فإن الهدف هو إدراك اللذة المحضة Pure Lust التي هي أمل ورجاء ودعابة وانسجام كوني للنساء اللاتي اخترن الهروب وامتثلن لمشاعرهن ورغباتهن العميقة، فتجاوزن حالة العبودية إلى لذة حب الترحال، والانطلاق في رحلة

([53]) Mary Daly: Pure Lust, op. cit, p. 12.

([54]) Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, p. 2

([55]) Ibid, pp. 30- 31.

وانظر: - Mary Daly: Pure Lust, op. cit, p. x.

(ISSN : 2536 - 9555)

مكوكية فضائية إلى أبعد النجوم، فهذه اللذة في جوهرها لذة محضة، غير مطلقة بسيطة وشفافة تسعى لكمال وجود الإنساني النسوي، إنها رغبة غير مقيدة فهي رحلة غزل ونسج ترمي إلى المشاركة الحقيقية في الوجود، كما أن التحرر على المستوى النفسي في رأي دالي هو رحلة مبهرة أو عملية تطورية لنمو الشعور أو الوعي من خلال تفكيك الحدث[56]، إلى لحظات تحررية فاعلة تكشف عن سيطرة المذكر.

إن هذه الرحلة هي بمثابة ثورة نسوية ديناميكية، وثورة انطولوجية روحية تشير إلى ما هو أبعد من أوثان التمييز الجنسي في المجتمع فهي الشرارة للفعل الإبداعي في الاتجاه نحو المتعالي أو المطلق الذي يسميه البعض الله[57]، ومن ثم لا ترضى دالي بالتجديد أو التوفيق كبديل للهدم السابق على الإبداع ذلك لأن اللغة التي استخدمها الآباء كانت لغة ذكورية صادمة وبحاجة إلى التغيير من أجل أن تكون مناسبة للنساء، أضف إلى ذلك أن عملية تحرير اللغة من الكلمات القاسية بحقهن تعد هدفًا من أهداف الرحلة التي ترفع شعار تأنيث اللغة (وسوف نوضح ذلك بالتفصيل في حديثنا عن اللغة والمجاز عند دالي).

وتطالب دالي في هذا الصدد بتطوير قدراتهن للكشف عن سيطرة المذكر الراديكالي الذي هو علة اغترابهن وتشيئوهن الأمر الذي لا يفعله إلا الأشرار[58]، وهو الأمر الذي يتطلب الشجاعة من أجل الإبداع، هذه الشجاعة التي ربما تكون النساء قد تعلمتها من النقد الجلي الواضح الذي حررهن من تكرار الوقوع في نفس الشراك[59]. ويبدو تأثر دالي في هذا السياق بـ "بول تيليش" وكتابة "الشجاعة من اجل الوجود" الذي تعده دالي مصدرًا

(56) Geraldine Moan: Psychic Liberation, Feminist Practices for Transformation among Irish Women in Feminist interpretations of Mary Daly, ed., by Sarah Lucia Hoagland, The Pennsylvania university press, 2000, p. 390.

(57) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 6.

(58) Mary Daly and Jane Caputi: Webster's first New Intergalactic Wickedary of the English Language, Beacon press, Boston, 1987, p. 31.

(59) Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, p. 23.

أساسيًا استفادت منه في صراعها ضد التمييز الجنسي الموجود في اللاهوت والثقافة(60)، فقد عرفت دالي الشجاعة بأنها القدرة على مواجهة الممارسات العدمية، لكن على الرغم من تأثرها بتيليش إلا أنها رأت أن مفهومه عن الشجاعة لم يف بالمطلوب، فقد افتقر إلى الشجاعة فيما يخص النساء ذلك لأنه لم يعالج صراع النساء ضد السلطة الأبوية(61).

أما بالنسبة لمفهوم المرشد المطلق لكل أنثى رحالة فهو يمثل من وجهة نظر دالي العلة النهائية Final Cause لاستقرارها ونشر أهدافها، فالمرأة يمكنها تولي إدارة حياتها الخاصة في حالة واحدة فقط عندما تكون في توافق وانسجام مع علتها النهائية (مرشدتها الأساسية) تلك التي كانت كامنة بداخلها وعاجزة عن الخروج أو الفاعلية في ظل العالم الذكوري المتسلط، ومن ثم يحدث لها تقدم حقيقي عن طريق الاتحاد أو الألفة وتكون لها القدرة على إدراك وفهم رسائل أو خطابات المرشدات على طوال الطريق(62).

وفي هذا الإطار تنتقد "آن ماري كورت" Ann Marie Korte "ماري دالي" ورأت أنها قدمت مفهومين متناقضين للذاتية Subjectivity في نقدها للدين والسلطة الأبوية، فرأت أن المرأة بحاجة لأن تتبنى ذات مستقلة لكن ما فعلته وطالبت به في كتاباتها الأخيرة هو التجانس والترابط والاقتران، وبالتالي فقد قامت بتفكيك المفهوم وتحدثت بأصوات مختلفة ووضعت نفسها خارج أي نسق وأظهرت الغضب والسعادة والتحليل العميق المغري(63).

واعتقد أن كورت لم يجانبها الصواب في نقدها لدالي وذلك لأن دالي لم تتحدث عن الذات الفردية للأنثى بل تحدثت عن الذات الأنثوية المناهضة للذات الذكورية، فمن الطبيعي أن تتعدد الذوات الفردية داخل الذات الكلية ليتحقق كمالها، وقد عبرت عن ذلك تمامًا بجعل الأنانية ضد الكمال، فالغيرية بالنسبة لها تكامل للجنس الأنثوي.

---

(60) Mary Daly: Outercourse, Be- Dazzling Voyage, op. cit, p. 136.

(61) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 20.

(62) Mary Daly and Jane Caputi: op. cit, p. 44.

(63) Ann- Marie Korte: op. cit, p. 14.

(ISSN : 2536 - 9555)

وتطالب دالي الرحالة كذلك باتباع منهج التحرر والتغلب على ما اسمته بعبادة المنهجية أو النسقية الذي تعده دالي واحدة من الآلهة الكذبة بالنسبة للفلاسفة واللاهوتيين والأكاديميين ذلك لأن النسقيين هم الذين جعلوا للفلسفة إله كاذب يتمثل في عبادة المنهجية، فالشائع أننا نختار نسق ونحدد بمقتضاه المشكلات، لكن الصواب هو أن نتعرف على المشكلات ثم نتخير لها منهجًا للمعالجة(64)، فالجور كل الجور يتمثل في عبادة النسق الذي لا يستند إلى وجهة نظر نقدية لأنه من شأنه أن يعوق أي اكتشافات جديدة، ويمنعننا من طرح أسئلة لم يتم طرحها من قبل بوجهة نظر تنويرية، ذلك لأن عباد المنهجية يمتلكون طريقًا مؤثراً في معالجة ونقل البيانات لا تتناسب مع المقولات التي تحظى بأسئلة وإجابات جيدة ذلك لأن إله النسق إله تابع وخاص يخدم قوة عليا ممثلة في مؤسسات اجتماعية وثقافية، فتحت سيطرة السلطة الأبوية نجد أن المنهج قد تم دحره لأنه محا تساؤلات النساء لدرجة أن هن لم يكن لديهن القدرة على سماع وصياغة الأسئلة الخاصة بهن أو حتى نقل خبراتهن لبعضهن الآخر(65).

والسؤال المطروح هل يمكن اعتبار ماري دالي من فلاسفة اليوتوبيا؟ أما أنها من فلاسفة الرمز؟ لقد اتهمت دالي بانها كانت يوتوبية(66) Utopian لكن لورل ث. شنايدر رفضت هذا الاتهام ورأت أنه من الخطأ الحديث عن دالي بوصفها يوتوبية على الرغم من أحلامها وخيالاتها حتى في وقت مقاومتها للدوجماطيقية أو القطعية Dogmatism فهذا بدافع التوفيق بين أفكارها فعملها ليس في المقام الأول ذو منحى مستقبلي، ولا يخطط لمجتمع أنثوي مستنسخ فليس كل اليوتوبيات مستقبلية، ولكنها تتجه لأن تكون مشروعات أو خطط مثالية مستحيلة(67).

---

(64) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 10- 11.

(65) Ibid, pp. 11- 12.

(66) Marilyne Frye and Sarah Lucia Hoagland, Mary Daly off our Backs (A women's New Journal" Vol. 30, No. 2. (Mary Daly) February, 2000, p. 5.

(67) Laurel C. Schneider: The Courage to see and to sin: Mary Daly's Elemental, Transformation of Paul Tillich's ontology in Feminist

وعندي أن ماري دالي لم تكن أكثر من ما بعد حداثية Post Modernism تمزج الواقع بالخيال والعلم بما يحسبه البعض خرافة وذلك لتنطلق إلى اللانسقية، حيث الإبداع والمنطق غير متعدد القيم، أو إن شئت قل المنطق المائي الذي يستمد قواعده وقوامه من الموقف أو المشكلة، فهذا المنطق يجمع بين النزعة السيكولوجية والاجتماعية معًا ومستغرق في الواقع أكثر من حفاظه على القواعد المنظمة.

وفي الحقيقة إن المتأمل لفلسفة "دالي" من خلال رحلتها يجد أنها تقدم مقاربات فلسفية جديرة بالملاحظة ويجد الأثر الغنوصي واضحًا في رحلتها على الرغم من أنها لا تصرح بأنها استعارت مقولات غنوصية، فالغنوصية Gnosticism ترى أن هناك صراعًا داخل الكون بين أرواح إلهية أو قوى غيبية، وقوى شيطانية شريرة تتجسد داخل أجسادنا المادية، وتتحكم فينا، وتعوق الأرواح عن تكملة رحلتها إلى مملكة النور وهو العالم السماوي كذلك فإن الأساطير الغنوصية تتحدث عن المخلص الذي أرسل من عالم النور ليوقظ الأرواح من ثباتها ليبدأ الرحلة الخطيرة نحو التحرر والخلاص ولكي يفعلوا ذلك فإنهم مضطرين أن يعلنوا بأن كل ما يربطهم بالعالم الأرضي من قرابة أصبح غير مألوف، فماري دالي هي المخلص النسوي الراديكالي التي تدعو إلى قضايا مشابهة تمامًا للغنوصية من خلال استخدام كل منهما للتأويل واللغة الرمزية(68).

فإذا كانت العقيدة الغنوصية تحذرنا من المعرفة الزائفة ومن الغنوصيين المخادعين كذلك فإن دالي تحذرنا من السلطة الأبوية والتصورات النسوية الزائفة، أضف إلى ذلك أنه إذا كان الغنوصيون قد ميزوا بين عدة مستويات من أجل الحصول على المعرفة، فإن دالي تحدثت عن الباحثة النسوية المبتدئة في الحركة والتنويرية الساحرة، والعجوز الشمطاء، والحكيمة العاقلة التي تقدم لها رحلتها الطويلة نوعًا من الخلاص، كذلك

interpretations of Mary Daly, ed., by Sarah Lucia Hoagland and Marilyne Frye, The Pennsylvania state university press, Pennsylvania, 2000, p. 70.

(68) Ross S. Kraemer: Gyn/ Ecology, Book Reviews, Chicago Journals, Signs, Vol. 5, No. 2, University of Chicago press, Winter, 1979, pp. 354- 355.

(ISSN : 2536 - 9555)

تستخدم دالي لغة مشابهة للغنوصية عندما تتحدث عن الومضة أو الشرارة الإلهية كمجاز للأرواح[69].

وتذكرنا هذه المستويات بالطريق الصاعد عند أفلاطون Plato (427-347)، والطريق المعرفي عند أخوان الصفا وأخيرًا التسلسل الهرمي للقيادة والسيادة عند الماسونيين ودرجات الولاية عند الصوفية.

ويبدو أن دالي قد تنبهت لعدم التصريح بغنوصيتها فكشفت في مقالتها المتأخرة عن غنوصيتها، وذلك عندما طالبت بالفحص الغنوصي المتمرد على التقاليد اللاهوتية التي سادت العصور الوسطى من أجل الكشف عن الاعتقاد السائد- آنذاك- بأن فضيلة اللطف الإلهي Grace ضرورية لتحقيق السعادة[70]، وهو الأمر الذي ترفضه دالي.

وعلى هذا الأساس فإن وقوع دالي تحت تأثير الغنوصية جاء بعد إعلانها تحولها لما بعد المسيحية فاطلقت على نفسها غنوصية متمردة في إشارة منها لرفض المجتمع المسيحي الذي يشجب الغنوصية بوصفها هرطقة من ناحية ولتشير إلى فلسفتها التي تتضمن اللاأدرية Agnosticism في نسيج معانيها من ناحية أخرى[71].

3) ثورة دالي وجحودها للنصوص المقدسة:

أ] موقفها من العهد القديم:

بداية يذهب "تشاد ميستر" Chad Meister إلى أن الأديان الإبراهيمية، وكذلك الأديان الأخرى تعلي من شأن الرجل على المرأة، فإذا نظرنا إلى مصطلحات مثل الملك، القوي، العظيم، والمحارب، والأب، نجد أنها تسيطر غالبًا على الكتابات الهندوسية المقدسة للبهاجافاد- جيتا (الإله) Bahagafada –Gita على الرغم من أن

(69) Ibid, p. 355.

(70) Mary Daly: Be- Longing: the Lust for Happiness, An Essay in the Feminist Philosophy Reader, ed. By Alison Bailey and Chris Cuomo, McGraw Hill companies Inc, N.Y, 2008, p. 482.

(71) Renia Tyminski: Divinity, Transcendence and Female subjectivity in the works of Mary Daly, Ph.D in philosophy, The university of Tornoto, N.Y, 1996, pp. 101- 102.

الكتب المقدسة الهندوسية تتضمن إلهات نسويات، وآلهة أساسية معروفة (مثل فشنو Vishnu وتجسداته) وتتسم هذه الآلهة بسمات ذكورية، كذلك نجد أيضًا السلطة الأبوية المتمركزة حول الرجل موجودة في كل الكتابات والممارسات البوذية Buddhism والسيخية Sikhism والداويه Daoism والكونفشيوسية Confucianism فمعظم الديانات التاريخية في الشرق، والغرب يسيطر عليها التصور الذكوري، علاوة على ذلك فإن أديان العالم لها جذور في تاريخ الشرق، الذي نشأ في أوساط يغلب عليها طابع السلطة الأبوية، فالقراءة السريعة للحضارات الشرقية القديمة تكشف لنا عن البيئات التي كان ينظر فيها إلى المرأة بوصفها أدني من الرجل، وخاضعة له، وينظر إليها في بعض الأحيان على أنها أقل إنسانية، وعقلانية، وهو ما ذهب إليه فيما بعد أرسطو[72] Aristotle (384– 322 ق.م) وتستشهد "ماري دالي" بما ذكره ماكس فيبر M. Weber (1864– 1920) من أن بوذا Buddha كان سعيدًا لأن يرى نساء ماهرات تجلس عند قدميه، وكان يستغلهن بوصفهن مروجات لدعوته[73]. وفي هذا الإطار تتفق "روزماري روثر" مع "ماري دالي" إلى أن بالعهد القديم مؤثرات شرقية أسطورية حيث الصراع بين أتباع يهوه والديانة الكنعانية، هذا الصراع الذي كان له أكبر الأثر في تشكيل ديانة العهد القديم التي رفضت الرموز النسوية للإلهه، ولقادة النسوية الدينية في الصراع ضد الكنعانية[74].

والمتأمل لكتابات معظم فلاسفة النسوية المعاصرين– وعلى رأسهم "دالي"– نجد أنهن يشعرن بظلم الكتاب المقدس لهن، وذلك لأنهن رأين أن وصف الكتاب المقدس للإله يتسم بالطابع الذكوري الأبوي المتمثل في السيطرة، ونتيجة لذلك فقد طالب بعضهن بتنقيح النصوص الكتابية، في حين قرر البعض الآخر التخلص منها كلية بصورة جذرية

(72) Chad Meister: Philosophy of Religion, Palgrave Macmillan, U.K, 2014, p. 129.

(73) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 163.

(74) Rosemary Radford Reuther: Mary– the feminine face of the church, Westminster press, Philadelphia, 1977, p. 19.

(ISSN : 2536 - 9555)

لكن هناك اتفاق بين الأغلبية منهن على أن الكتاب المقدس هو سبب شقاء الجنس البشري، وبالتالي لديهن إصرار على أن تكون لدى المرأة مكانة جديدة في الحياة الفكرية والدينية المعاصرة(75).

وأوضحت "دالي" أن واضعي أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد قد صوروا النساء على أنهن ذليلات، وكائنات أقل شأنًا، وهذا الأمر ليس غريبًا من وجهة نظرها؛ لأن هؤلاء الكتاب كانوا من الذكور الذين انحازوا لطبيعتهم، ولطبيعة عصرهم، وبالتالي سيكون أمرًا مريبًا أن نجد فكرة تؤسس لطبيعة نسوية أو هدف إلهي من جراء خلق النساء في النصوص المقدسة(76)، وهي تتفق في ذلك تمامًا مع ما ذهبت إليه "اليزابيث كادي ستانتون" E. Cady Stanton (1815– 1902) التي تعد أول نسوية ناقدة للتعاليم الدينية في الكتاب المقدس حيث عولت على الكتاب المقدس في إقصاء المرأة(77).

وإذا نظرنا إلى اليهودية من خلال نصوص العهد القديم– على حد زعم "دالي"– نجد أنها قد سلبت المرأة حقوقها، وجعلتها ملكية خاصة للرجل، وليس لها أى دور سوى أن تكون تابعة للرجل خاضعة له يمتلكها شأنها في ذلك شأن الأشياء المادية الأخرى، فكل ما ورد في التوراة عن علاقة الرجل بالمرأة يشير إلى تبعيتها، لأنها مأخوذة من ضلعه، فقد نادت الوصايا العشر، وتحديدًا الوصية الأخيرة(*)، أن تكون كشيء يتملكه الرجل مثل منزله، أو حقله، أو عبده، أو ثوره أو حماره(78).

كذلك صورت "دالي" العهد القديم بأنه يكيل بمكيالين في علاقته بالرجال والنساء: بمعنى أن النساء عندما يقمن بإساءة التصرف فإنهن يتعرضن للعقاب الشديد الصارم

(75) Jo Ann Davidson: Modern feminism, Religious pluralism and Scripture, Journal of the Adventist Theological, Vol. 10/ 1, 2000, pp. 401– 402.

(76) Mary Daly: The church and the second sex, op. cit, pp. 74– 75.

(77) Jo Ann Davidson: op. cit, p. 402.

(*) لقد جاء في الوصية العاشرة (الأخيرة) ولا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره ولا شيئًا مما لقريبك (تكررت مرتين في الخروج 20: 17، والتثنية 5: 21).

(78) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 75.

على العكس من الرجال الذين لا تتم معاقبتهم إلا عندما يقوموا بانتهاك حقوق رجل آخر مثل النيل من زوجته أو التورط في جريمة أما احترام النساء في المجتمع فيتم اكتسابه من خلال الأمومة، وبصفة خاصة عندما يقمن بإنجاب الذكور، لكن يتم إلقاء اللوم، والمسئولية عليهن في حالة عدم الإنجاب، كما صور العهد القديم أن للآباء الحق في بيع بناتهن للعبودية[79].

وتمضي "دالي" إلى أبعد من ذلك فتستشهد بما يردده المصلون اليهود الأرثوذكس في صلاتهم اليومية كل صباح "أحمدك يارب أنك لم تخلقني امرأة"[80]، وتستشهد بحالات الاغتصاب والوحشية، وغنائم الحرب التي كانت ضحيتها النساء، فيذكر سفر العدد(*)، بأن موسى Moses بعد أن قام بحملته ضد "مدين" Midian سخط على قادة الجيش قائلاً لهم لماذا حافظتم على النساء، أو بعبارة أدق لماذا استحييتم النساء، وطلب منهم أن يقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة ضاجعت رجلاً، كذلك تحدث سفر التثنية(*)، عن شريعة المرأة الأسيرة، ومعاملتهم القاسية اللانسانية لها عندما يذهب العبرانيون لمحاربة أعدائهم[81].

وإذا ما انتقلنا مع "دالي" إلى أنبياء العهد القديم نجد أنها قد أوضحت– في كتابها، ما هو أبعد من الإله الأب– بأن الأنبياء الأكثر شهرة في التقاليد اليهودية كانوا ذكورًا، وبالتالي لم تكن هناك انتقادات توجه ضد السلطة الأبوية في حد ذاتها، وإن وجدت صيحات فردية تصرخ في البرية لم تستطع أن تقودنا بعيدًا عن التحيز الجنسي الموجود، وتؤكد "دالي" على أن أنبياء العهد القديم قد استخدموا التحيز الجنسي ضد المرأة في ضرب الأمثلة المجازية، وظهر لديهم نزعة طبيعية أو ميل مزعج لمقارنة إسرائيل بعاهرة

([79]) ibid, p. 76.

([80]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 132.

(*) سفر العدد (3 : 17– 18).

(*) سفر التثنية (21– 10– 14).

([81]) Mary Daly: Beyond God the Father, op. cit, p. 116.

(ISSN : 2536 - 9555)

أو فاجرة: فقد تحدث "أشعيا" Isaiah عن "صهيون" Zion بوصفها فاجرة[82]، وكذلك نجد "آرميا" Jermiah يخاطب إسرائيل فيصفها بأنها زانية، ويتوعد بمعاقبتها بسبب الخيانة، واللجوء إلى الآلهة الكاذبة، وتخليهم عن يهوه[83].

أما النبي "حزقيال" Ezekiel في رأى "دالي: لم يكرر ما جاء في الخطابات السابقة فحسب التي تصف إسرائيل بالفجر، والعهر، لكنه أضاف صورة أخرى مجازية مثيرة للاهتمام، فيصف طريقهم كنجاسة الطامث[84]. إن مثل هذه الأمور في رأى "دالي" تعد دليلاً واضحًا، وقويًا على أن أنبياء اليهود قد أسهموا في القمع الجنسي النسوي، ولم يبلغوا رسالة تسهم في تحرير النساء.

وتمكن من التغلب على الأمراض المستعصية لدى تابعيهم، تقول "دالي" وحتى إذا قمنا بتنحية أمثلة التحيز الجنسي ضد النساء، ومجازاتها جانبًا، فإن الواقع يبرز أن جُل أنبياء الديانات الكبرى لم يعترضوا على القمع أو الظلم الجنسي بطريقة فعالة[85].

وإذا ما انتقلنا إلى فلاسفة اليونان نجد أن فيثاغورث Pythagoras (572–497ق.م) قد رأى أنه ليس ضروريًا أن يُقَيِّم الجنس النسوي بأكمله فامرأة بعينها ربما يتم النظر إليها بوصفها مقدسة، ومع ذلك فإن خلق الجنس الأنثوي بكامله سيء، وما زال أوعية حاملة، وناقلة للخطيئة[86].

([82]) Ibid, p. 162.

وتستشهد دالي بما جاء في سفر اشعيا (1: 21) كيف صارت القرية الأمينة زانية ملآنه حقًا كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقائلون".

([83]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 162.

وتستشهد دالي بما جاء في آرميا (2: 20) لأنك منذ القدم كسرت نيرك وقطعت قيودك، وقلت لأنك على أكمة عالية، وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية.

([84]) تستشهد دالي بما جاء في سفر حزقيال (36: 16– 18) وكان كلام الرب قائلاً يا بن آدم إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم نجسوها بطريقتهم وبأفعالهم، كانت طريقتهم أمامي كنجاسة الطامث.

([85]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 162– 163.

([86]) Ibid, p. 163.

ولم يختلف كبار فلاسفة اليونان في نظرتهم للمرأة، فقد وضع سقراط المرأة في نفس مقولات الحيوانات، وغير اليونانيين أو البرابرة عندما أكد أنه قد حظى بثلاث ميزات جعلته سعيدًا أولها أنه قد ولد إنسانًا، وثانيها أنه ولد رجلاً وليس امرأة وثالثها أنه ولد يونانيًا، وليس بربريًا[87].

أما أفلاطون حتى وإن كانت المرأة لها القدرة على جميع الوظائف شأنها شأن الرجل إلا أنها أدنى قدرًا من الرجل يقول أفلاطون في الجمهورية ولكن لما كانت الملكات قد انقسمت بين الجنسين فإن المرأة قادرة بطبيعتها على كل الوظائف، وكذلك الرجل وأن تكن المرأة في كل شيء أدنى قدرة من الرجل[88].

كذلك فقد اتسمت المرأة عند أرسطو بالدونية، والتبعية، والانحطاط يقول أرسطو "ثم أذا قوبل الذكر بالأنثى ظهر بالطبع تفوق الأول، وانحطاط الثانية، وتسلط الواحد، وانقياد الأخرى فعلى هذا النحو من الضرورة أن يكون الأمر كذلك لدى سائر الناس[89]. ولم يكتف بذلك بل أكد على أن سلطة الرجل على المرأة سلطة مدنية، وسلطة الأب على بيته سلطة ملكية، لأن جنس الذكور أصلح للرئاسة طبعًا من جنس الإناث ما لم يكن فاسد التركيب، ومخالفًا للطبيعة[90].

ب] موقف دالي من العهد الجديد:

إذا انتقلنا مع "دالي" إلى نصوص العهد الجديد نجد أنها ترى به عبارات معادية للنسوية، لكن هذه العبارات– في رأيها– لم تكن أبدًا من وضع المسيح، فليس في سجل المسيح خطاب معاد للمرأة في حد ذاته بل بالعكس فهناك أمور إيجابية لافته للنظر فيما

([87]) د أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، جـ1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص135.

([88]) أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة ودراسة د فؤاد زكريا راجعها على الأصل اليوناني، د.محمد سليم سالم، الكتاب الخامس، فقرة 452، الهيئة المصرية العامة الكتاب، القاهرة، 1974، ص352.

([89]) آرسطو: السياسات نقلة من الأصل اليوناني، وعلق عليه الأب أوغسطين برباره البولسي، الباب الأول، الفصل الثاني، فقرة 12، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية الأونسكو، بيروت، 1957، ص15.

([90]) نفسه: الباب الأول، الفصل الخامس فقرة (1)، ص37.

(ISSN : 2536 - 9555)

يتعلق بالنساء من أمثال كلامه وسلوكه مع المرأة السامرية Samaritan Woman واندهاش تلاميذه أنه يتكلم مع امرأة (يوحنا 4 :27) وكذلك دفاعه عن المرأة الزانية الذين أرادوا أن يطبقوا عليها حد الرجم كما في شريعة موسى ولكن يسوع رفض (يوحنا 8: 1– 11) كذلك فقد غفر يسوع للمرأة صاحبة الخطايا الكثيرة وعفا عنها في بيت الفريسي (لوقا 7: 36– 50) كذلك تذكر روايات الأناجيل أن يسوع كان له علاقات أخوية بنساء مذنبات أخريات عاملهن كصديقات مقربات، ومنحهن هبات أخوية[91].

ويبدو لي أن "دالي" هنا كانت تتبع النهج الإصلاحي من أجل أن تستميل عطف الكنيسة في مشكلتها، من أجل المساواة وذلك لأن كل مواقف "دالي" بعد ذلك في كتاباتها اللاحقة ضد المسيح وضد الكنيسة فهذا هو الموقف الوحيد الإيجابي الموجود في كل كتاباتها بلا استثناء تجاه المسيح، وكل ما عدا ذلك سلبي وتنقلنا "دالي" إلى النصوص التي كتبها "بولس" فترى أنها تعد من أكثر الأمثلة المجحفة والمعادية للنساء، لأنه اعتقد أن ذلك يحافظ على صورة قوية جيدة للكنيسة لا تخطيء فيها النساء، حيث لا يسمح لهن بالتحدث، وأن يغطين رؤوسهن، ورأت "دالي" أن علة "بولس" في المطالبة بهذا الأمر هو حماية الكنيسة الجديدة من الأفعال المخزية لاعتقاده بأن النساء يتصرفن بشكل سلبي، وغير لائق وتعتقد "دالي" أنه سيكون من الحماقة لو استخدمنا نصوص بولس[92]. في العصر الحديث لإخضاع النساء[93]. وترجع "دالي" موقف "بولس" إلى ثقافته العبرية المعادية للنساء وتقاليده الرومانية التي تحتقر النساء أيضًا.

وتستشهد "دالي" بعبارات بولس المعادية للنسوية فتتوقف عند رسالته الأولى إلى أهل "تيموثاوس" على المرأة أن تتلقى التعليم بسكوت، وبكل خضوع، لست أسمح للمرأة أن تُعلم، ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكون لأن آدم جبل أولاً ثم حواء، وآدم لم

([91]) M. Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, pp. 79– 80.

([92]) Ibid, p. 80.

([93]) تستشهد دالي بما جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 11: 7– 11 ذلك لأن الرجل عليه ألا يغطي رأسه باعتباره صورة الله، ومجده، أما المرأة فهي مجد الرجل، فإن الرجل لم يؤخذ من المرأة، بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يخلق لأجل المرأة، بل المرأة وجدت لأجل الرجل.

يغوي لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي[94]، وتمضي "دالي" في حديثها عن بولس ونصوصه التي تتسم باللامنطقية، وتتفق معها في ذلك "ميكا بال" Mieke Bal (1946-) التي ذهبت إلى أن الحجج التي طرحها بولس ضد المرأة تعد الحجج الأكثر شيوعًا واستخدامًا كما أنها في الوقت ذاته الأكثر خطأ، وذلك من ثلاثة نواح فهي تقارير ملفقة على القصة الحقيقية كما أن النص لا يدعم تلك التقارير، ولو سلمنا جدلاً في إمكانية تأويلها فإن الأحكام المستقاه المترتبة على التأويلات أو التحليلات لا ينبغي أخذها بالقطع أو الأحكام النهائية[95].

وتسوق "دالي" بعض أشكال المغالطات المنطقية التي وقع فيها بولس التي ينكشف فيها التلفيق فتستشهد على ذلك بما جاء في رسالته إلى أهل أفسس[96]. وتعلق على ذلك بأنها كانت تأمل في أن تجد في الفهم البولسي موقفًا إنسانيًا متطورًا تجاه العلاقة بين الرجل والمرأة يكون له السيادة أو الغلبة في الفكر المسيحي ثم تعود "دالي" وتقرر أن بولس نفسه قد وقع في تناقض مع ذاته إذ يقرر في رسائل أخرى بأن المرأة في حاجة إلى الرجل، والرجل في حاجة إلى المرأة، وأن كليهما خلق الله كما أن المسيح ينظر إليهما بعين واحدة لا تمييز بين أحدهما إلا بقدر الإيمان[97]. ومع ذلك فإن النظرة الذكورية لم تفارق قلم بولس غير أنه إذا كان قد اكتفى بما جاء في رسالته إلى أهل

([94]) الرسالة الأولى إلى أهل ثيموثاوس: الاصحاح الثاني 11: 14.

([95]) ميكا بال: الجنسانية، الخطيئة، الأسى: ظهور الشخصية النسائية، فقال في النسوية، والدراسات الدينية (سلسلة ترجمات نسوية، العدد الثاني، ترجمة د/ رنده أبو بكر، تحرير د/ أميمة أبو بكر، مؤسسة المرأة، والذاكرة، القاهرة، 2012، ص149.

([96]) لقد جاءت في رسالة بولس إلى أهل أفسس (5: 22- 24) أيتها النساء أخضعن لأزواجكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح هو أيضًا رأس الكنيسة، وهو مخلص الجسد، ولكن كما تخضع الكنيسة للجسم كذلك النساء لرجالهن وكل شيء" وانظر:

Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 83- 84.

([97]) لقد جاء في رسالة بولس إلى أهل كورينثوس (11: 11- 12) غير أنه في الرب ليست المرأة من دون الرجل، ولا الرجل من دون المرأة، فكما أن المرأة أخذت من الرجل، فإن الرجل يكتمل بالمرأة وإنما كل شيء هو من الله.

(ISSN : 2536 - 9555)

غلاطية[98]. لكان أفضل في رأيها لتمثيل موقف الكنيسة والتي ترى "دالي" أن هذا الموقف بمثابة تعويض وإصلاح لما سبق أن قاله من مواقف سلبية بحق النساء تمثلت في الانقسام والطبقية والخنوع التي تم التكريس لها[99].

جـ] موقفها من آباء الكنيسة والعصر المدرسي:

تؤكد "دالي" على أن وجهات نظر آباء الكنيسة لم تكن مبنية فقط على وجهتي نظر أفلاطون وأرسطو فحسب وإنما استندت أيضًا على ما جاء في نصوص الكتاب المقدس ورسائل بولس والتي وضعت غالبًا لتبرير عدم المساواة، وتستشهد "دالي" على ذلك بما جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (14: 35– 36) وترى أن هناك الكثير من النصوص قد تناولها الآباء الأوائل بروح غير محايدة منطلقة من تعصبهم لجنسهم الذكوري، ومثال ذلك فقد تم تفسير نصوص بولس السابقة بطرق مختلفة منها ما هو حرفي، ومنها ما هو مجازي: فالتفسير الحرفي أشار إلى الطبيعة الفطرية أو الغريزية لخضوع النساء ودونيتهن، أما التفسير المجازي فقد أشار إلى العقل الأسمى الذي يختص به الرجال، أما النساء فهن يختصن بعقل أدنى[100].

وخلال عصر آباء الكنيسة ساد اعتقاد مؤداه بأن العقل والمنطق الذي يتسم به الرجال هو هبات إلهية، وأن تفسير الكتاب المقدس عن طريق حجج لاهوتية، وفلسفية، وعقلية قد وجد لخدمة أغراض الذكور فقط، وساد اعتقاد بأن النساء يفتقرن إلى قدرات عقلية وبالتالي غير مسموح لهن بتلقي تعليم أو مشاركة في مناقشات فلسفية أو لاهوتية وهو الأمر الذي أفضى بالعديد من النساء بممارسة أشكال مختلفة من التصوف كوسيلة أو طريقة لنمط آخر معرفي[101].

([98]) لقد جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 27– 28 لأنتم جميع الذين تعمدتم في المسيح قد لبستم المسيح لا فرق بعد الآن بين يهودي ويوناني أو عبد وحر أو ذكر وأنثى لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع.

([99]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, pp. 83– 84.

([100]) Johanna Martina Wood: op. cit, pp. 33– 34.

([101]) Ibid, p. 62.

وإذا تأملنا موقف آباء الكنيسة سواء اليونان أو اللاتين تجاه النساء نجد أن العديد منهم قد اتسمت كتاباتهم بالطابع المعادي للمرأة، ونظروا إليها نظرة ازدراء أمثال "كلمنت السكندري" Clement of Alexandria (150- 215) و"أوريجين السكندري" Origen(185- 254) و"ترتوليان" Tertullian (155-255/160) و"امبروزيوس" Ambroise (339- 397) و"يوحنا فم الذهب" John Chrysostom (347- 407) و"جيروم" Jerome (342- 420) و"القديس أوغسطين"[102]. Augustine (354-430) فإذا نظرنا إلى الأول نجد أن "دالي" قد ذهبت إلى أنه كان مرتبكًا بشكل واضح على الرغم من أنه كان إلى حد ما أكثر ليبرالية من أوغسطين حيث قال "إن الرجال والنساء يمتلكون طبيعة متساوية، ولكنه وقع في تناقض عندما خلص إلى أن الأفضلية للمذكر[103].

أما "أوريجين" فرأى أن الخطيئة تأتي من المرأة، ومن أجل ذلك يكون بداية الخلاص، كذلك فقد خاطب ثرتوليان المرأة قائلاً "أنت بوابة الشيطان، لقد حطمت الرجل الذي هو صورة الله، وبسببك قد تم جلب الموت للجنس البشري حتى إن ابن الله مات بسببك[104].

أما القديس "امبروزيوس" فرأى أن المرأة خلقت لتكون معينًا للرجل، وتحتاج لحمايته، وبالتالي يتعين عليها أن تحتفظ بلقبها، وجنسها كامرأة، لكنه يراها سببًا في الخطيئة، واعتبر "يوحنا فم الذهب" أن المرأة خاضعة وتابعة لأنها لاحقة في خلقها على الرجل ومن ثم فإن دور الرجل يحظى بالتبجيل أما دور المرأة أقل وثانوي، في حين أكد "جيروم" أن هناك عدد قليل من النساء قد تمكنوا من تحقيق مكانتهن في مواجهة حالات القمع، واعترف بأن العديد من النساء أفضل من أزواجهن، لكن هذا استثناء، ولا يغير

([102]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, pp. 85- 90.

([103]) Ibid, p. 86.

([104]) Ibid, pp. 87- 88.

وانظر: - Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 3.

(ISSN : 2536 - 9555)

في الطبيعة الأنثوية شيئًا ومن هنا جاء التناقض الغريب[105]. أما القديس "أوغسطين" فقد قال بأن الرجل هو الوحيد على صورة الرب، ومجده أما المرأة فليس كذلك[106].

ولقد لفتت "دالي" النظر إلى وجود تناقض لدى آباء الكنيسة بين حواء Eve والعذراء مريم Mary التي حظيت لديهم بتأييد وتحيز عن باقي النساء، وترى "دالي" أن هذا النموذج من الترضية قد ترتب عليه ازدواجية أو تناقض بالنسبة لصورة المرأة ذلك لأن مريم هي التي تفردت بالتبجيل أو القداسة، وبلا خطيئة دونًا عن سائر النساء اللاتي لم يستطعن التخلص من هذه السمعة السيئة التي ألقت عليهن عبئا ثقيلاً باستمرار، وفي رأى "دالي" أن هذا الجدل المثير ما هو إلا احتمالات من جانب آباء الكنيسة للتغطية على عداؤهم للنساء فما كان منهم إلا أن مجدوا العذراء مريم[107].

وإذا انتقلنا– مع "دالي"– إلى فلسفة العصور الوسطى نجد أنها ترى أن القديس "بونافنتورا" Bonaventure (1217– 1274) قد كرر العديد من الأفكار الواردة في نصوص العهد الجديد فاعتقد أن صورة الله متحققة في الرجل بصورة أساسية وأكبر من المرأة التي لا توجد فيها إلا بطريقة عرضية[108]. وعلى هذا النحو سار "يوحنا دانزسكوت" John Duns Scotus (1266– 1308) فاعتقد أن النساء تابعات للرجال، وذلك لأنهن أقل ذكاءًا، ومتقلبات من الناحية العاطفية، لذلك فقد اختار الرب الرجال ليكونوا قادة، وفي رأيه أن المسيح قد استبعد النساء من الأوامر المقدسة، كما أنهن يجب ألا يقوموا بالتعليم في الكنيسة[109].

أما القديس "توما الأكويني" فلم يفرد أبحاثًا مستقلة عن المرأة، وإنما كتب عنها في أعماله المختلفة، ونظر إليها من زاويتين: الأولى على أنها مساوية للرجل في الطبيعة، أما الثانية فهي خاضعة لسلطة الرجل، ولقد كان تأثير أرسطو على "توما الأكويني" في

([105]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 89.

([106]) Ibid, pp. 85– 86.

([107]) Ibid, p. 88.

([108]) Ibid, p. 90.

([109]) Johanna Martina wood, op. cit, p. 49.

هذا الصدد هو تأثير مباشر بدرجة أكبر من تأثير آباء الكنيسة، فقد اعتقد "الأكويني" مثلما اعتقد "أرسطو" بأن المرأة كائن ناقص عقليًا، ورأى أن طبيعة المرأة بها خلل مستمد من قوى مشوهة لبعض الانحرافات المادية في حين تتجه البذرة الذكورية إلى الكمال المذكر كما أن هناك اختلافات في القدرات العقلية بين الرجل والمرأة، فالعقل هو أكثر تطورًا في الرجال[110].

وعلى ذلك أكد "توما الأكويني" في الخلاصة اللاهوتية على أن الخضوع والانحطاط تابع للخطيئة، لأنه بعد الخطيئة قيل للمرأة ستكونين خاضعة للرجل، فالمرأة أضعف وأخس من الرجل لأن الفاعل أشرف دائمًا من المنفعل كما قال "أوغسطين"، فالمرأة من وجهة نظر "الأكويني" وجدت لإعانة الرجل في التوليد طبقًا الكتاب المقدس، وبالتالي فهي شيء ناقص وهي خاضعة لأنه أحكم بالطبع منها[111]. وبالتالي ليس باستطاعة النساء– من وجهة نظره– تلقي الأوامر المقدسة بسبب درجة السمو أو الرفعة، والتعقل، وحسن التصرف التي لا يمكن أن يكون لها مدلول أو مغزى بالنسبة للجنس الأنثوي، وطالما أن النساء تمثل حالة من الخضوع أو التبعية فلا يمكن رسمهن أو سيامتهن كاهنات[112]. وتعلق "دالي" على ذلك فترى أن هذا الأمر غير متسق وبه تناقض وتتساءل على أى أساس ينسب إليهن السبب في معظم الشرور الموجودة في العالم على الرغم من عدم قدرتهن على تحمل المسئولية الأخلاقية ونسبتها للرجل[113].

وإذا ما انتقلنا من العصر الوسيط إلى عصر الإصلاح نجد "مارتن لوثر" M. Luther (1483– 1546) رأى أن الرب خلق "آدم" سيدًا على كل المخلوقات، ولكن "حواء" هي التي أفسدت وشوهت كل شيء[114]. وعلى هذا النحو نادى كل من "جون

([110]) Ibid, pp. 46– 48.

([111]) توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية (المجلد الثاني) ترجمة من اللاتينية إلى العربية الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1889، (الفصل الأول) الفقرة 1–3، ص 495، ص497.

([112]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 187.

([113]) Mary Daly: Beyond God the Father, op. cit, p. 101.

([114]) Ibid, p. 103.

(ISSN : 2536 - 9555)

كالفن" J. Calvin (1509– 1564) و"جون نوكس" J. Knox (1514– 1572) بإخضاع المرأة للرجل[115].

د] موقفها من الفلاسفة المحدثين أو المعاصرين بخصوص المرأة:

تشير "دالي" في كتاباتها إلى عدد من فلاسفة العصر الحديث الذين أسهموا بكتاباتهم في قمع وظلم النساء أمثال "فرنسس بيكون" F. Bacon (1561– 1626) و"ديكارت" R. Descartes (1596– 1650) واتهمتهم بالتحيز ضد النساء، ورأت أن كلاً منهما قد شيد أنساقًا عقيمة في الوقت الذي كانت فيه النساء تحترق[116].

وتستشهد "دالي" بما كتبه جونار ميردل Gunar Myrdal (1898– 1987) الذي أكد على أن قد ساد القرن السابع عشر قانون عام شهير يضع بموجبه النساء تحت وصاية السلطة الأبوية وظهرت الحاجة الاضطرارية لهذا القانون بسبب العبيد والزنوج الذين تم جلبهم من الخارج، ذلك لأن طبيعتهم كانت أقرب لطبيعة الأطفال والنساء، واستشهد "ميردل" بما أكده "جورج فيتزو" George Fitzhugh (1806– 1881) على أن زوجة الرجل وأطفاله كانوا يعدون بمثابة عبيد بالنسبة له[117].

أما إذا انتقلنا إلى عصر التنوير في القرن الثامن عشر وجدنا تباينًا في الرؤى وإن كانت السمة العامة يغلب عليها انصاف للنساء، فقد اعتبر "مونتسكيو" Montesquieu (1689– 1755) بشكل متناقض أنه يتعين على النساء أن يتبعن الرجال في الحياة العائلية لكن كل شيء يؤهلهن للعمل السياسي، أما "روسو" J. J. Rouseau (1712– 1778) فقد كرس المرأة لزوجها وللأمومة، فأكد على أنه يجب أن يكون كل تعليم المرأة متعلقًا بالرجال لأن المرأة خلقت لتخضع للرجل، وتتحمل ظلمه، واستنكر "فولتير" Voltaire (1694– 1778) الظلم الواقع عليهن[118]. واعتبر "دنيس ديدرو"

([115]) Anne Car: op. cit, p. 281.

([116]) Mary Daly: Pure Lust, p. 154.

([117]) Mary Daly: Beyond God the Father, op. cit, pp. 129– 130.

([118]) سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، الجزء الأول (الوقائع والأساطير) ترجمة د/ سحر سعيد، دار الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2015، ص145.

D. Diderot (1713– 1784) أن معظم دونيتهن صنعها المجتمع، واعتقد أن قسوة القوانين المدنية في كل الحالات اجتمعت مع قسوة الطبيعة ضد النساء اللاتي عاملتهن كأشخاص حمقى وأراد "كوندرسية" Condorcet (1743– 1794) أن تدخل المرأة الحياة السياسية واعتبرها مساوية للرجل، ودافع عنها ضد الهجوم الكلاسيكي، فأكد على أن المقولة التي ترى أن النساء لا يمتلكن شعورًا بالعدالة، وأنهن يتبعن مشاعرهن أكثر مما يتبعن ضميرهن، فهذه المقولة ليست طبيعتهن بل أن تربيتهن والوجود الاجتماعي هو الذي يسبب الاختلاف[119].

وفي القرن التاسع عشر طالب "جون ستيورت مل" J. S. Mill (1806– 1873) بالمساواة بين الرجل والمرأة، وعدم التمييز في المعاملة، والتمتع بالحرية مؤكدًا على أنه يتعين على أولئك الذين يقولون أن للرجال السلطة، وعلى النساء واجب الطاعة، أو أن الرجال يصلحون للحكم وإدارة شئون الدولة، وأن النساء لا يصلحن فعليهم مهمة الإثبات، يقول "مل" "إن أولئك الذين ينكرون على النساء أى حق في الحرية أو ميزة يتمتع بها الرجال يؤكدون افتراضًا مسبقًا مزدوجًا ضد أنفسهم هو معارضتهم للحرية، وتأييدهم للتحيز [120].

وتؤكد "دالي" على أن الايديولوجيا الكاثوليكية لم تكن سببًا في التحرر النسوي، ولكن الثورة الصناعية كانت عاملاً هامًا أفضى إلى تحرير نسوي، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر لاهوتيو القرن الثامن والتاسع عشر والقرن العشرين في تبرير الخضوع التقليدي لنساء متزوجات مغلوبات على أمرهن، فقد رأى "الكاردينال جوسية" Cardinal Gousset (1792– 1866) أن للرجل وحدة كامل الصلاحيات فيما يخص زوجته دون موافقتها أو الرجوع إليها، وله حق التصرف فيها كما يريد، وعليها الخضوع له في كل شيء، وهناك مثال آخر مطابق لذلك نجده في أعمال اللاهوتي الأب "جويس" Juilles في منتصف القرن التاسع عشر الذي كتب كتابًا قدم فيه نصائح للفتيات بأن

([119]) نفسه، ص145.

([120]) جون ستيورت مل: استعباد النساء، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص36، ص37.

(ISSN : 2536 - 9555)

يقمن بتنمية فضائل الاتضاع، والنقاء، والإحسان، والتغاضي عن فضائل الشجاعة، والطموح، وشجعهم على تطبيق التعاليم المسيحية ببساطة، وليس على طموح المعرفة العلمية[121].وتذهب "دالي" إلى أنه على الرغم من إعلان البابا "بندكت الخامس عشر" Benedict XV (1854– 1922) حق النساء في التصويت عام 1919 إلا أن هذا الأمر لم يغير شيئًا لدى السلطات الرسمية فيما يتعلق بالنساء[122].

كذلك تستشهد "دالي" بـ "نيتشه"، فعلى الرغم من اعجابها الشديد وتأثرها بفكره بصفة عامة، وفكره الديني والأخلاقي المتمثل في قلب القيم الأخلاقية اليهودية والمسيحية بصفة خاصة إلا أنها لم تعجب بمذهبه في كراهية المرأة[123]، في العديد من كتاباته فهو يقول في كتابه "ما وراء الخير والشر" نحن الرجال نتمنى ألا تستمر المرأة في فضح نفسها بالتنوير، وذلك على نحو ما رعى الرجل المرأة، ورفق بها حين أصدر مرسومًا كنسيًا "فلتصمت المرأة في الكنيسة، وقد قال "نابليون" Napoleon (1769– 1821) فلتخرس المرأة في السياسة، ومن هنا فلتخرس المرأة حول المرأة[124]. كذلك فقد نظر "نيتشه" إلى الزواج بوصفه عائقًا واستشهد على ذلك بعدد كبير من الفلاسفة لم يتزوجوا أمثال "هيراقليطس" Heraclitus (540– 475) وأفلاطون، وسبينوزا Spinoza (1632– 1677) "وليبنتز" G. W Leibniz (1646– 1716) "وكانط" Kant (1724– 1804) "وشوبينهور" Schopenhauer (1788– 1860) وأكثر من ذلك لا يمكن للمرء أن يتخيلهم متزوجين، وعبر عن ذلك قائلاً أن فيلسوفًا متزوجًا إنما يجد مكانه في الكوميديا[125]. وعلاوة على ذلك فقد وضع "نيتشه" في كتابه "إرادة القوة"،

([121]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 107.

([122]) Ibid, p. 109.

([123]) Ibid, p. 102.

([124]) فردريك نيتشه: ما وراء الخير، والشر، ترجمة جيزيلا فالور حجار، مراجعة موسى وهبه، دار الفارابي، بيروت، 2003، ص203.

([125]) فردريك نيتشه: في جينالوجيا الأخلاق، ترجمة فتحي المسكيني، مراجعة محمد محجوب، سلسلة ديوان الفلسفة، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، المقالة الثالثة الفقرة السابعة، ص148.

النساء، والعبيد، والطبقات الشعبية غير النبيلة ضمن ديانة الطبقات الدنيا[126]، وذهب إلى أن المرأة أشد خبثًا بكثير من الرجل، وأكثر حيلة، وأن الطيبة هي شكل من أشكال الانحطاط لدى المرأة، وأن الصراع من أجل مساواة الحقوق هو في حد ذاته عرض مرضي، أما عن تحررها فهو غريزة حقد المرأة الفاشلة أى تلك العاجزة عن الإنجاب، وليس الصراع ضد الرجل سوى وسيلة، وخطة مراوغة ليس إلا، وفي الواقع أن المتحررات هن الفوضويات في عالم الأنثى الخالدة، وهن الفاشلات اللاتي يغمرن الحقد غرائزهن الدفينة[127].

وبوجه عام فقد سار عدد من الفلاسفة المعاصرين على نهج آباء الكنيسة، وفلاسفة العصور الوسطى فنادوا بإخضاع المرأة، ولعل من أمثلة ذلك "ديتريش بونهوفر" D. Bonhoeffer (1906– 1945) و"تيلارد دي شاردن" T. De Chardin (1881– 1955) و"كارل بارت" K. Barth (1886– 1965) و"رينولد نيبور" R. Neibuhr (1892– 1971) وكذلك بعض الناطقين المحدثين، والمعاصرين باسم الفاتيكان والكتاب المقدس[128].

وصفوة القول فقد رأت "دالي" أن اللاهوت واللاهوتيين يبررون ظلم الإله للنساء بعدة طرق:

أولا: عندما يعلن علماء اللاهوت أن إرادة الرب هي التي جعلت المرأة تابعة، وخاضعة لهذه الإرادة، وهذا التبرير وجد على مر العصور ولا زالت آثاره موجودة في كتابات كثير من الفلاسفة المعاصرين.

ثانياً: حتى في حالة غياب مبرر صريح للظلم أو القمع فإن هذه الظاهرة موجودة في الرمزية الأحادية للإله المذكر وعلاقته بالإنسان، بمعنى أن الإنسان المذكر عندما

([126]) فردريك نيتشه: إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، ترجمة وتقديم محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2011، فقرة 128، ص 99.

([127]) فردريك نيتشه: هذا هو الإنسان، ترجمة على مصباح، منشورات الجمل، بيروت 2006، الفقرة الخامسة، ص75، ص76.

([128]) Anne Car: op. cit, p. 281.

(ISSN : 2536 - 9555)

يؤمن بأن الرب هو الأب، فإنه يصبح على وعي بأنه ليس شخصًا غريبًا أو دخيلاً، ولكنه ابن ينتمي لمصير رائع هذا بالنسبة للمذكر، أما المرأة فإنها تعي نفسها على أنها شخص غريب أو دخيل، كما أن مصيرها مباين لمصير الرجل الذي لا يمكنها أن تنتمي لمصيره دون الموافقة على إجراء جراحة في فصوص المخ.

ثالثاً: حتى عندما تظهر الافتراضات الأساسية الخاصة باللغة الإلهية على أنها خالية من التمييز الجنسي، وعندما يتم تطهير، وتنقية اللغة من التركيز على المذكر فإنها تكون ضارة ومتوافقة ضمنيًا مع التمييز الجنسي طالما أنها تفتقر إلى العقل وتشجع الانفصال عن واقع النضال الإنساني ضد الظلم في تجلياته الملموسة، ونجد تبريرًا لهذه الحالة عند لاهوتيو الأمل أمثال "وولفهارت بانبرج" W. Pannenberg (1928–2014) و"مولتمان" Moltmann (1926–)[129]. و"يوهان ميتز" J. Metz (–1928)

ونخلص من ذلك إلى أن "دالي" قد حشدت العديد من المبررات لإلحادها، وإنكارها لقداسة الاصحاحات التوراتية، والإنجيلية التي تحدثت عن المرأة، وحملت آباء الكنيسة، والكهنة، ورجالات الدين مسئولية توجيه النصوص وجهة ذكورية تحط من مكانة المرأة، وإنكارًا لفضلها في المجتمع الإنساني وإهدار لحقوقها وحريتها وجعلها تابعة للرجل.

وانتهت إلى أن الثقافة العلمانية قد لعبت دورًا كبيرًا في تزكية الثقافة الذكورية، ثم شيئًا فشيء اعترفت بحقوق المرأة، ولكنها لم تصل إلى الثورة التي جعلت للمرأة فلسفة نسوية تعبر عن مشكلاتها، وتحمل قضاياها وتدافع عن حقوقها، وهي تعترف بأنها واحدة من قادة الحركة النسوية التي جاهدت من أجل حريتها، وإثبات وجودها.

4) الألوهية والعقائد المقدسة

أ] الألوهية "نقض الموروث العقدي"

لم تقف نزعة "دالي" النقدية عند غربلة، واستبعاد المسحة الذكورية التي سادت الكتب المقدسة، وآراء الآباء، والأوائل، بل امتد تفكيكها، ونقضها، وتمردها على جوهر المعتقد المسيحي المتمثل في طبيعة الإله، وميلاد المسيح، وربوبيته، فذهبت "دالي" إلى

(129) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 19– 20.

تقديس الإلهة الأنثى عوضًا عن الإله الأب الذي حفلت به معظم الكتب المقدسة قديمها، وحديثها. ولم تكن "ماري دالي" هي أول من نزع ذلك المنزع بل سبقتها إلى ذلك الأساطير اليونانية والرومانية، وكذلك الفلاسفة المعنيين بالأسطورة.

وبطبيعة الحال فقد استخدمت "دالي" فكرة المقدس الأنثوي Sacred Goddess أو الإلهة الأنثى كبديل عن الإله الأب، وإذا نظرنا إلى جذور هذه الفكرة نجد أنها فكرة قديمة وجدت في الأساطير اليونانية، والرومانية، والسومرية، والثقافات الشعبية، ثم بدأت تظهر في الانثروبولوجيا الدينية عند "جيمس فريزر" James Frazer (1854-1941) في كتابه "الغضن الذهبي" The Golden Bough ثم ظهرت بعد ذلك عند كل من "روبرت جرافز" R. Graves (1895- 1985) و"جوزيف كامبل" Joseph Campbel (1904- 1987) ثم امتدت هذه الفكرة إلى الكتابات الفلسفية، واللاهوتية، والرواية، والشعر في القرن العشرين، واكتسبت دلالة خاصة لدى النسويات المعنيات بفلسفة الدين واللاهوت في الموجه النسوية الثانية في السبعينات والثمانينات عند كل من "دالي"، و"روزماري روثر" اللاتي ركزن على النسوية الروحية المرتبطة بالإلهة الأنثى، لكن شيئًا فشيئًا أصبحت الفكرة مألوفة، ومعروفة أكثر بالنسبة للملايين من الأمريكيين عن طريق شفرة "دافنشي" عام 2003 "لدان براون" Dan Brown[130] (1964-).

ولقد سار عدد من اللاهوتيات النسويات على خط "دالي" أمثال "الجا سورج" Elga Sorg (1940-) فرأت أن نقول في صلاتنا "أمنا بدلاً من آبانا" وطالبت "كريستا مولاك" Christa Mulack (1943-) بخبرة فعل الأمومة بالنسبة لمفهوم الإله في اللاهوت المسيحي، ورفضت "روزماري روثر" كل صور الإله المتعالي، وقد أحلت "دالي" الأم، والإبنة، والمرأة العجوز محل الأب، والإبن والروح القدس[131]. ووضعت الإلهة الأنثى، والطبيعة، والنساء ذو طبيعة فطرية في حين أن الآلهة الذكور والحضارة

([130]) Vanessa Lynn Kearney: The Sacred Feminine in the Age of Block Buster, Ph. D in philosophy, Faculty of The university Graduate school Indiana university, U.S.A, 2009, p. 1, p. 30.

([131]) Armin Ernst Buchrucker: The ordination of women and feminist theology, logia, A journal of Lutheran theology feminism, Vol, IX, No. 1, Epiphany, 2000, p. 13.

(ISSN : 2536 - 9555)

والرجال ذو بنية تركيبية مكتسبة[132]. وتذهب "دالي" إلى أنه من الأيسر بالنسبة للاهوتيات النسويات أن يصلن إلى الإله الروح بصورة مفضلة عن الأب، والإبن، فالروح تجسد كل شيء عقلاني وديناميكي، وتشعل الشرارة من خلال التفاعل بين الناس، لذلك يجب أن يكون اللاهوت النسوي ضروريًا ومشتملاً على لاهوت الروح، طالما أن لفظ الروح في العبرية هو لفظ نسوي، واللاهوت النسوي يتطلب الحديث عن إلهة روحية مقدسة[133].

ومن هذا المنطلق بدأت "دالي" نقدها النسوي لمفهوم الإله قائلة "لو كان الإله ذكرًا فإن الذكر هو إله"[134]. If God is male then the male is God أى إذا ما افترضنا أن الإله ذكرًا فلا عجب إذا أُله الذكور. وذهبت "دالي" إلى أن الصفات النسوية للإله مثل القدرة، والقوة، والحكمة، والدوام والعدل تحمل بين طياتها التحيز الذكوري باعتبار هذه الصفات ضرورية وإيجابية، وفاعلة، أما الصفات السلبية الذميمة مثل الضعف والجهل والتردد، والذنب والخطيئة فقد ألحقوها، ووسموا بها النساء الأمر الذي يفضح تحيز الكهنة، وأحبار الكتب المقدسة لصورة الإله المذكر[135].

ومن هذه الزاوية ترى "دالي" أن الكتاب المقدس صور الرب في صورة شعبية بوصفه الأب العظيم الموجود في السماء الذي يكافئ، ويعاقب البشر، وفقًا لإرادة سرية غامضة، استطاعت أن تسيطر على خيال الملايين من البشر منذ آلاف السنين، فرمزية الإله الأب هو الذي ولد في المخيلة الإنسانية الحفاظ على النظام الأبوي، وبالتالي ظلم النساء، فإذا كان الإله الموجود في السماء هو الأب الذي يحكم شعبه، فإن ما هو موجود في الطبيعة من أشياء يتوافق مع الخطة الإلهية، ونظام الكون الذي يتسم بالسيطرة الذكورية[136].

([132]) Darlene M. Juschka: Feminist Encounters with symbol, Myth and Ritual: Mary Daly, Elisabeth Suhussler Flornza and Rosemary Radford Reuther, Ph.D, university of Toronto, 1998, p. 137.

([133]) Armin E. Buchrucker: op. cit, p. 14.

([134]) M. Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 19.

([135]) Anno Feminarum, op. cit, pp. 37- 38.

([136]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 13.

هذا يعني أن كثيرًا من التحريفات أو التشوهات المتعلقة بمفهوم الألوهية قد تم نقدها حديثًا من وجهة نظر "دالي" عن طريق بعض اللاهوتيين الذين رأوا أن مثل هذه المفاهيم قد تأثرت تأثرًا كبيرًا بالفلسفة اليونانية، وانعكس هذا الأمر على العقيدة، والفكر المسيحي، وتأثرها بالأفكار الهلينية التي حاول بعض اللاهوتيين المعاصرين تخليصها من نزعتها الهلينية مثل مفاهيم العناية والقدرة، والثبات الإلهي[137]. ولعلها تقصد هنا "بولتمان" ومشروعه في "الديمثيولوجيا" De- Mythology أو تخليص الدين من الأساطير.

وتضيف "دالي" أن النساء لديهن ميل إلى تصور أوفهم المتعالي بوصفه فعل يسهم في حياتنا ووجودنا، فهذا الفعل لازم، ولقد عبرت "دالي" عن ذلك متسائلة "لماذا يجب أن يكون الإله اسمًا؟ لماذا لا يتعين أن يكون فعل؟ أليس الفعل أكثر ديناميكية؟، وفاعلية لكل الأشياء؟، أليس تسمية الإله بهذا الاسم يعد عملاً من أعمال اغتيال الفعل الديناميكي أليس الفعل يتسم باللا محدودية بصورة مفضلة عن اسم ثابت مجرد؟، ربما يكون القصد منه الرموز التشبيهية للإله، تلك التي تتمثل في تجسيده أو تشخيصيه، لكن هذا الأمر قد باء بالفشل[138]. ذلك لأن الواقع يشهد بأن الأفعال ليس حكرًا على جنس بعينه فتحكي الأساطير أن الكثير من الإلهات أو الربات كن يخضن الحروب بشجاعة وصلابة، وتشهد الواقعات التاريخية على رجاحة عقل من اضطلعن بالحكم وتسييس الممالك أو الاشتغال بالعلم.

وتتفق الفيلسوفة النسوية الكندية "ناعومي جولدنبرج" Naomi Goldenberg (1941-) مع "ماري دالي" في أن كل ما تعرفه عن اليهودية، والمسيحية يتضمن قبول الرب بوصفه المطلق في بنية سلطوية ذكورية، وتؤكد على أن وصول المرأة لتشغل مواقع قيادية في السياسة، والطب، والقانون، والفن، وغيرها، وأخيرًا في الدين كل هذا من شأنه أن ينهي مسيرة الإله، ومن ثم تغيير العالم[139].

([137]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, pp. 181- 182.

([138]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 33- 34.

([139]) Jo Ann Davidon: op. cit, p. 401.

(ISSN : 2536 - 9555)

لقد استخدمت "دالي" في فهمها للإله معيار التحقق تارة، ومعيارًا براجماتيًا تارة ثانية، وذلك فيما يتعلق باللغة الإلهية، ولكن بطريقة مختلفة عن طريقة "وليم جيمس" W. James (1842– 1910) ولكنها ليست مغايرة تمامًا في المفهوم أو المقصد، إذ رفضت صورة الإله المتعفف في الحديث عن الأمور الجنسية التي تعوق التحول الإنساني، ذلك لأن دور الحركة النسوية سوف يعدل في نهاية المطاف لغة الإله المتعالي على نحو يجعله ضروريًا لافتراض أن مصطلح إله سيكون استنادًا لتعايشه مع الواقع(140).

ولا ريب في أن حديث "دالي" السابق عن الصفات الإلهية والأقوال المنسوبة إلى الرب لا يخلو من الاعتراض والنقد، والرغبة الصارمة في استبعاده ليحل عوضًا عنه أحاديث أخرى تتفق مع فكرة الربوبية النسوية التي تنادي بها في جل كتاباتها بدلاً من الإله الأبوي، ولكن باطنها هو التخلص نهائيًا من إله الأديان الذي يقع عليه– من وجهة نظرها– ظلم النساء، وجعلهن خاضعات ذليلات.

ولعل ما يبرر تحليلنا هو أمرين:

أولهما: تأثرها الواضح بـ "نيتشه" الذي يتضح منذ الصفحة الأولى لأول كتاباتها "الكنيسة" والجنس الثاني" حيث زعمت أنها أعادت قراءة "نيتشه"، ولاسيما الفقرات الشهيرة المتعلقة بموت الإله، حيث أنها لم تكتف بما قاله "نيتشه" بل أضافت دون أن تفصل كلامها عن كلام "نيتشه" حيث قالت "إننا عندما نسمع خبر موت الإله القديم نحس، وكأن أشعة فجر جديد قد لمستنا، ويفيض قلبنا بالعرفان لهذا الخبر بالشكر والدهشة، والتوجس بالانتظار هو ذا الأفق صافٍ جديد، وإن لم يكن صافيًا تمامًا" تضيف "دالي" على هذا القول "فقد أصبح هذا الميت بمنأى عن البشر بدرجة أكبر من بعدهم عن النجوم السحيقة(141). وكأنها تريد أن تقول بأن موت الإله هو بشارة لبنات حواء بأن فجرًا جديدًا ينتظرهن للتطلع نحو آفاق المستقبل.

(140) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 21.

(141) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p, xi.

وتضيف "دالي" أنه على الرغم من حماس "نيتشه" العقلي إلا أنه لم يكن لديه فهمًا واعيًا بالحدث الكبير القائل بأن موت الإله، إنما هو موت السلطة الأبوية أى موت الرمز، وهو الأمر الذي يرضي النسوية الراديكالية، ويحقق ذواتهن، ويحررهن من قيود ديانة السلطة الأبوية، ورموزها الذكورية المهلكة، ومنطقها المريض، وأدواتها السامة، وهذا يتطلب الاستمرار في الشجاعة، أى شجاعة الانطلاق فيما هو أبعد من الإله الأب وشجاعة الهجر، والتخلي عن الكنيسة الكاثوليكية بصفة خاصة، وفيما هو أبعد من ذلك أى العزوف عن المسيحية بصفة عامة، ولكل ديانات السلطة الأبوية بكافة أشكالها المقدسة والدنيوية[142].

وتمضي "دالي" في كتابها "ما هو أبعد من الإله الأب" إلى أنه ربما يبدو منطقيًا وعلى نطاق واسع في القرن العشرين أن ظاهرة موت الإله تستلزم موت "يسوع" أو على الأقل بالمعنى الذي يجعلنا نتجاوز التركيز على شخص "يسوع"، ورأت أن مثل هذا الأمر غير موجود لدى فلاسفة لاهوتيين من أمثال "بونهوفر" و"اميل برونر" E. Brunner (1889– 1966) و"كارل بارت" و"رينولد نيبور" و"بولتمان" Bultmann (1884– 1976)، كما أن موت "يسوع" ليس موجودًا عند "تيليش" رغم تأثره العميق بإعلان "نيتشه" عن موت الإله فقد كتب "تيليش" "إن الاهتمام المطلق ليس "بيسوع" فحسب، ولكن الاهتمام بيسوع بوصفه المصلوب"[143].

وعلاوة على ذلك فإن حديث "دالي" عن الموجود الأسمى أو المتعالي تأثرت فيه بـ"نيتشه" فرأت كيف يكون هذا الموجود مستقلاً عن العالم، وفي الوقت ذاته يسيطر عليه وفقًا لخطة الحفاظ على الجنس البشري، فمثل هذا الأمر لا يتسم بالدقة ولا يتماشى إلا مع حالة واحدة هي الخضوع الصبياني وينطوي من وجهة نظر "نيتشه" على تناقضات كثيرة[144].

وقارن: فردريك نيتشه: العلم المرح، ترجمة وتقديم: حسان بورقية، ومحمد الناجي، الكتاب الخامس، فقرة 343، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 1993، ص204.

([142]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, pp. xi– xii.

([143]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 70.

([144]) Ibid, p. 18.

(ISSN : 2536 - 9555)

ولا ريب أنه على الرغم من تأثر "دالي" بالسابقين عليها من الفلاسفة المجدفين، والملاحدة إلا أنه ليس أحد منهم يدانيها في ذلك الجحود، والتطاول على النصوص المقدسة باسم تحرير النص من السلطة الذكورية.

أما السبب الثاني الذي كان وراء رغبتها في جحد تصور الألوهية وإنكاره تمامًا هو اعتقادها أن "بول تيليش" لم يف بالمطلوب في إلحاده، إذ حاول تجنب فرضية وجود إله– في رأيها– واستبعاد صفة الظلم عنه، وخيريته، وذلك الخلل ينسحب بدوره على فلاسفة معاصرين أمثال "وليم جيمس"، وألفرد "نورث وايتهيد Alfred North Whitehead (1861– 1947) و"كارل ياسبرز" K. Jaspers (1883– 1969) فقد طور هؤلاء لغة ذكورية أحادية بالنسبة لمشكلة المتعالي[145].

وهذا يعني أن هؤلاء الفلاسفة لم يصلوا إلى درجة الإلحاد التام، والانكار الخالص، والثورة الكلية على وجود ذلك الإله المتعالي.

وعلى ذلك تذهب "دالي" إلى أنه من الواجب عليها تدارك الخلل والأخطاء اللاهوتية التي تبرر الأفعال غير المعقولة التي تنسب إلى الإله، وثانيها عالم الأسرار الغيبي الذي يجعل الإنسان يسلم بوجوده دون أن يعرف عنه شيئًا وثالثها النظر للعملية الجنسية من الذكر، والأنثى على أنها خطيئة تستوجب التوبة والخلاص في حين أنها هي السنة الكونية التي أتت بالبشر، ولولاها ما كانت هناك ضرورة لوجود الإله، أو الخلاص أو الصلب وتستفيض "دالي" في شرح ما تعتقد أنه تقويم للاهوت الذكوري.

وعلى ذلك فقد حددت "دالي" ثلاث أخطاء لاهوتية في المسيحية أطلقت عليها ثلاثة آلهة كاذبة، وترى أنها لازمة للصلوات، والعظات، والترانيم، والتربية الدينية المسيحية وتسميهم "دالي" أيضًا المغتصبون الذين تم الكشف عنهم بواسطة اللاهوتيين الليبراليين الذكور وهذه الآلهة هي 1– إله التأويل، 2– إله العالم الآخر أو العالم الغيبي 3– إله الحكم.

1– إله التأويل وهو الإله الذي يسد فجوة عدم اكتمال معارفنا كما أطلق عليه "ديتريش بونهوفر"، وهو الذي نلجأ إليه عندما نقوم بتبرير شيء غير قابل للتبرير أو التأويل

(145) Ibid, pp. 20– 21.

مثل معاناة أو موت طفل فنبررها على أنها إرادة الله، وهو ما أشار إليه فيلسوف اللاهوت، وعالم الاجتماع المعاصر "بيتر برجر Peter Berger (1929-2017) بوضوح في تحليلاته، ومناقشاته لمشكلة العدل الإلهي، وتوضح "دالي" أن مثل هذا الإله هو تشجيع للسادية، والاضطهاد، والتلذذ بالتعذيب لأن هذا الإله لا يقوم بمحو المعاناة والظلم الاجتماعي، والاقتصادي والنفسي، كما أن موقف هذا الإله من النساء، وتهميشهم جعلهم يفهمون أن الهدف الإلهي هو غالبًا ما يكون واجهة وغطاء لحفظ الرجال، ومن ثم يتعين عليهن أن يكن على وعي بأن الغرض الإلهي هو الطريقة التي تحجب بها الرجال الحقيقة بسبب قصورهم وشرورهم وجهلهم[146]، ولعل "دالي" متأثرة هنا بـ"بنيتشه" الذي ميز بين التأويل الصحيح والتبرير الذي يقوم على عدم التمييز بين المعنى والمعاناة يقول "نيتشه" "إن ما يثير حقًا ضد الألم ليس الألم بحد ذاته، بل لمعنى الألم: فليس المسيحي الذي أدخل في تأويل الألم كل آليات الخلاص الخفية، ولا الإنسان الساذج للأزمنة القديمة الذي فهم كيف يفسر كل ألم بالنظر إلى المشاهد أو إلى فاعلي الألم"[147].

2- أما الإله الثاني فهو إله العالم الآخر أو العالم الغيبي: وهو الوثن الثاني من الآلهة المخادعة، وهو الأكثر وضوحًا منذ القدم ويتمثل نشاطه الرئيسي في الثواب، والعقاب بعد الموت، وهو ما أشارت إليه "سيمون دي بوفوار" بأنه يتعين على النساء أن يتحررن من هذا الصنم من خلال رفع الوعي بدرجة أعمق من هذا العالم الغيبي، وأضافت "دالي" بأن هذا النمط يمكن تحطيمه عندما تحيا النساء حياة كاملة متحررة[148]. أى على حد رأيها من ذلك المجهول الذي يشعرهن دومًا بأن ما يستمتعن به هو رذيلة، وذنب وفحش، وعار، وقد استغل المجتمع الذكوري هذا المعتقد لوضع المرأة دومًا في قفص ارتكاب الرذيلة متناسين أن ما تفعله المرأة ما هو إلا فعل إنساني خلقت من أجله.

([146]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 29- 30.

([147]) فردريك نيتشه: في جينالوجيا الأخلاق، مرجع سابق، المقالة الثانية، فقرة 7، ص95.

([148]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 30.

(ISSN : 2536 - 9555)

3- أما الإله الثالث فهو مرتبط- عند دالي- بالإلهين السابقين وهو إله الحكم بالنسبة للخطيئة، وهو الذي يؤكد شرعية القواعد، والأدوار بالنسبة للأنظمة المسيطرة أو السائدة، وهو المحافظ على الوعي الزائف، وتشجيع الشعور بالذنب المدمر للذات، خاصة النساء اللاتي عانت جسديًا وعقليًا من هذا الإله تحت مسمى تحديد النسل والإجهاض وهي مسائل خاطئة لا لبس فيها لأنهن ينبغي أن يكن خاضعات لأزواجهن، ويجب أن يكن حاضرات للطقوس، وتقديم خدمات للرجال الذين يمتلكون أدوارًا قيادية، مع شعورهن بالدونية، والحط من قدرهن، وإجبارهن على أن يكن سلبيات من الناحية العقلية الرمزية للأب[149].

ثانيًا: العقائد المقدسة:

بداية إذا نظرنا إلى قصة الخلق نجد أن "دالي" تذهب إلى أن قصة آدم وحواء هي خدعة تم تصويرها منذ آلاف السنين، وكذلك قصة الاتحاد الإلهي الإنساني الذكوري- التي وجدت في الديانات الهندوسية- ما زالت موجودة في المسيحية وهي فكرة خيالية تنظر إليها النساء على أنها نوع من المزاح أو الدعابة الكونية تحت تأثير السلطة الأبوية ودورها في تحرير الجنس البشري من الخطيئة الأصلية الخاصة بالتمييز الجنسي، وعندما تدرك المرأة هذه الحقيقة فمن الطبيعي أن تتأمل عقيدة المجيء الثاني The second coming كوسيلة لإنقاذ التقاليد الدينية وتتساءل هل من الممكن تصور مجيئه على هيئة امرأة أوسمة أنثوية خاصة إذا عرفنا أن المجيء الأول قد حدث في شخص يسوع[150].

ولقد حاولت "دالي" الوقوف على التأويلات المختلفة وأنسبها فيما يتعلق بمشكلة الخلق وهل الرجل وحده هو الذي خلق على صورة الله وليس الأنثى أم كليهما؟ وهل خضوع المرأة للرجل جاء نتيجة أنها خلقت بعده كفكرة تالية من ضلعه؟ وإذا كانت تابعة للرجل فعلام تقع مشكلة السقوط؟

([149]) Ibid, pp. 29- 30.

([150]) Ibid, pp. 30-31.

إن المؤولين المعاصرين عند "دالي" قد تمكنوا من إلقاء نظرة نقدية على الفصول الأولى من سفر التكوين لتوضيح الاختلافات بينها بدقة، فوجدوا أن الروايتين اللاحقتين بشأن مشكلة الخلق بينها اختلافات كبيرة أى أن هناك نسختين على ما يبدو من قصة الخلق في سفر التكوين، تظهر نسخة جيه J في سفر التكوين في الاصحاح الثاني (18-25) وكتبت قبل عدة قرون من نسخة بي P التي تظهر قبلها في سفر التكوين أيضًا في الاصحاح الأول (27- 29) ففي نسخة جيه J يخلق الله حواء من ضلع آدم وهذه النسخة هي الأساس المعتمد للفكر المسيحي المتعلق بالنساء بينما رواية أو وثيقة النسخة بي P الواردة في الاصحاح الأول قد قالت بخلق الذكر والأنثى وهي نسخة لاحقة بقرون عديدة على نسخة جيه J [151].

وتتفق "جيردا ليرنر" في ذلك تمامًا مع "دالي" حيث أكدت على أن النقد التوراتي قد ركز على مدى عدة قرون على الاختلافات بين النسختين، وتحزب لفضائل إحداهما على حساب الأخرى، وتذهب "ليرنر" إلى أن النسخة بي P تماثل قصة الخلق البابلية الأينوما إيليتش Enuma Elish في تفاصيلها وأحداثها، التي يمكن أن تفسر المقولة الخنثوية- خلق الذكر والأنثى- بأنها انعكاس لتأثير الأفكار الدينية لبلاد ما بين النهرين، ولقد حاول المؤولين توسيع الرنين الخنثوي لنسخة جيه J عبر الإشارة إلى كلمة "آدم" العبرية التي تعني البشرية "رجال ونساء"، وأن ابتداء "آدم" بحرف كبير خطأ حدث لاحقا واستند إلى افتراضات قائمة على مركزية ذكورية، وامتد تأثير ذلك الخطأ الذي أعيدت طباعته في ملايين النسخ في التوراة في جميع اللغات كان إضافة ثقل إلى التأويلات التقليدية للإصحاح الثاني من سفر التكوين[152].

وتضيف "ليرنر" إلى أن هناك أمر جدير بالملاحظة في سفر التكوين وهو أن خالق الحياة البشرية الإلهي الذي كان في القصة السومرية الإلهية "ننهورساج" Ninhursag هو الآن "يهوه" الإله الأب السيد، فمن المحتمل أننا إذا قابلنا النسخة بي P أنه خلقهما

([151]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 77.

([152]) جيردا ليرنر: نشأة النظام الأبوي، ترجمة: أسامة اسبر، مراجعة الأب بولس وهبه، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص365، ص366.

(ISSN : 2536 - 9555)

ذكر وأنثى ولكن إذا قبلنا النسخة جي J فإنه خلق الذكر تمامًا على صورته، وخلق المرأة بطريقة أخرى[153].

ولقد قامت "دالي" بإعادة قراءة التأويلات المختلفة لهذه المشكلة من أجل الوقوف على التأويل السليم الذي يتناسب مع العقل فاتفقت مع ما ذهب إليه بعض المؤولين المعاصرين ولاسيما الفيلسوفة الأمريكية "روزرماري روثر"، فقد اتفقا تمامًا على أن قصة الخلق لا تعطي أى إشارة بأن المرأة قد تم احضارها بوصفها فكرة تالية بل بالعكس، فإن الآية (1: 26) تؤكد على الثنائية الأصلية للجنسين، وتصف الفعل الإلهي بأنه استخدم الجمع ليعطي السيادة لكل منهما على الأرض، وترك الباب مفتوحًا (1: 27) لإمكان أن نفهم كل رجل (آدم) بوصفه كلمة تشير إلى نوع لا إلى جنس فقال أن كلا الجنسين مخلوق على صورة الله بشكل متساوٍ(*). فكليهما يشترك في السيادة على الأرض[154]. ولا يمكن أن تكون المرأة خلقت من ضلع آدم، هذا يعني أن "دالي" تعتبر أن هذه الفكرة سخيفة فهي قصة مغلوطة بيولوجيا وزائفة، فهي من الأنساق الرمزية المعكوسة التي قام بها الآباء، وطالبت "دالي" بالرجوع إلى جذور هذه الرموز من أجل التحقق من معانيها الأصلية والحقيقية، وذلك لأن الأصل بالطبع هو أن الرجال ولدوا من النساء وليس

([153]) نفسه، ص370.

(*) تستشهد دالي بالآيات الواردة في سفر التكوين التي تدعم تأويلاتها في (1: 26) فقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض، وتستشهد كذلك بالآية التالية لها مباشرة (1: 27) (فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرًا أو أنثى خلقه)، إن ما يمكن فهمه هنا هو أن صورة الرب متمثلة في الرجل والمرأة وهو ما تدعمه وتؤكده الآية التالية أيضًا المستخدمة بصفة الجمع (الواردة في 1: 29) وباركهم الله وقال لهم أثمروا، واكثروا، واملأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض.

([154]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 77.

وانظر: روزماري رادفورد روثر: تحرير الكريستولوجيا "علم طبيعة المسيح" من النزعة الأبوية مقال في النسوية، والدراسات الدينية، سلسلة ترجمات نسوية، العدد الثاني، ترجمة رنده أبو بكر، تحرير د/ أميمة أبو بكر، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، 2012م، ص81.

العكس، فهذه الفكرة الزائفة شأنها شأن الإصرار منذ قرون عديدة على أن النساء هن ذكور ناقصة أو مشوهة، هذه الفكرة التي تم رفضها عن طريق الأبحاث الجينية لعلم الوراثة المعاصر[155].

وقدمت "ميكابال"– في هذا الصدد– طرحًا مفاده أنه من غير الواضح أن آدم الرجل قد جبل أولاً حتى وإن كان ذلك صحيحًا فإن ذلك لا يجعل طبيعته أرفع مقامًا بل على العكس حتى لو كان آدم قد تشكل على صورة أفضل تكاد لا توجد علاقة شرطية بين كون الإنسان منتجًا طينيًا من صنع الإله، ولكن أقل نجاحًا وقدرة الإنسان على التحدث والتعليم وممارسة السلطة[156].

وعلى ذلك فإذا نظرنا إلى مشكلة السقوط من وجهة نظر "دالي" نجد أنها تؤكد أنه لم تعد لهذه القصة أهمية أو ثقل يؤخذ على محمل الجد بالنسبة لوعي الإنسان المعاصر سواء كان دينيًا أو دنيويًا، بل أنها أصبحت محورًا للعديد من الدعابات أو النكات ورسوم الكاريكاتير بالنسبة للعديد من فلاسفة الدين واللاهوت، ولاسيما "بولتمان واتباعه الذين أخذوا على عاتقهم تنقية العهد الجديد من الأسطورة Demythologizing وإزالة هذا الطلاء الأسطوري مع الحفاظ على بعض المحتوى المزعوم، كما أكد آخرون مثل "بول تيليش" أن الأسطورة تطرح نفسها في اتجاه ثلاثي الأبعاد بوصفها أسطورة للوجود، وأسطورة للتاريخ، وأسطورة للفكرة المطلقة، أو في لغة الأسطورة ذاتها كإبداع[157]، وحاول دحض الأسطورة والإبقاء عليها مع الاعتراف بأنها أسطورة مع عدم الأخذ بمعناها الحرفي، كما أنه تم تقديمها بواسطة لاهوتيين بمصطلحات مجردة مثل الاغتراب الوجودي، والاغتراب الكوني[158].

([155]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 95.

([156]) ميكا بال: المرجع السابق، ص149.

([157]) بول تيليش: الدين ما هو؟ الحب... الإيمان... الثقافة، ترجمة وتعليق مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، لوجوس، القاهرة، 2005، ص131.

([158]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 44– 45.

(ISSN : 2536 - 9555)

إن اسطورة السقوط– في رأى "دالي"– تعد صورة هدامة للنساء لما لها من تأثير على المعتقدات والتشريعات التي ترضى النساء في المجتمع وتسهم في تفكير أولئك الذين يستمرون في التحيز لصالح النظريات الأخلاقية الذكورية، ومن ثم فإنها تدعم الأنماط الهدامة في نسيج وبنية ثقافتنا، فكل من الأدب، ووسائل الإعلام يكرر دوافع "إغواء حواء" بصورة مفرطة إلى حد بعيد، ويقدم تبريرات عقلانية للعادات الاجتماعية والقوانين المدنية، مثل قانون الإجهاض، وبالتالي فإن هذه الأسطورة غير ملائمة لعقلنه محتواها المزعوم، وذلك لأنها تعبر عن حالة عالمية من الاغتراب، كما أنها تعد نهجًا مشوهًا يفتقر تمامًا إلى العقلانية(159).

وتتهكم "دالي" على هذه المشكلة فترى أنها تعد محاولة للتغلب على الارتباك الذي يعاني منه الجنس البشري من أجل إضفاء معنى والخروج من مأساة وعبثية الوضع الإنساني، أنها عرض لمرض أبعد، فإن انجازها الكبير قد نجح في تدعيم وتعزيز الظلم أو القمع الجنسي في المجتمع، وأصبحت دونية المرأة لها ما يبررها في العالم، فهي ليست الأساس والأصل في وجود الرجل، ولكنها السبب في سقوطه وكل مآسيه، ولعلها تتفق في ذلك مع الفيلسوف الفرنسي "تيلارد دي شاردن" و"انجلو هيسنارد" Angelo Hesinard (1886– 1969) حيث ذهبا إلى أن أسطورة السقوط تقف عائقًا أو عقبة أمام التقدم كما أنها تشجع على الشعور بالذنب، وتعزز الكراهية والظلم حتى الحرب من وجهة نظر التحليل النفسي(160).

وتذهب "دالي" إلى أن العقيدة المريمية أو اللاهوت المريمي يعد تعزيزًا للطبقة الجنسية فتصور مريم بدون الخطيئة الأصلية يضمن أن كل النساء بوصفهن نساء في مرتبة واحدة مع حواء، وفي الوقت نفسه يعزز ازدواجية في الوضع، فالنساء اللاتي يرتبطن بالرجال مضطرات إلى أن يتم فهمهن عن طريق أزواجهن بأنهن استثناءات كما هو الحال في العلاقة بين مريم ويسوع(161).

---

(159) Ibid, p. 45.

(160) Ibid, pp. 46– 47.

(161) Ibid, p. 82.

أما إذا انتقلنا إلى الميلاد العذري Virgin Birth نجد أن "دالي" قد رفضت هذه العقيدة في مجملها ورأتها واحدة من أقدم العقائد وأكثرها غموضًا، ورأت أن اللاهوت المسيحي التقدمي يجد أن هذه العقيدة أكثر غموضًا من الفكرة القائلة بأن يسوع ابن الله، واستشهدت برأى فيلسوف اللاهوت "جوردون كوفمان" Gordon Kaufmann (1925– 2011) الذي انتقد الكنيسة ورآها مسئولة عن العديد من الآراء المشوشة، والغامضة بالنسبة للقضايا الكريستولوجية، ورأى أن هذا الأمر هو محاولة من جانب الكنيسة لفهم واقعة مؤداها أن يسوع ابن الله[162].

كذلك فقد عارضت "دالي" التجسد Incarnation ورأت أن مفهوم تجسد الإله في صورة إنسان مذكر يعد تحيزًا جنسيًا ويفتح الباب أمام الظلم والاضطهاد، فاللاهوت النسوي يرفض التجسد من أجل الخلاص[163]. وتتفق معها في ذلك "روزماري رادفورد روثر" التي رأت أن أية كريستولوجيا تعلي من شأن ذكورة المسيح لتجعلها ضرورة أنطولوجية تعني أن ناسوت المسيح لا يشمل المرأة على الاطلاق، أى أن التجسد في صورة ذكر فقط لا يشمل النساء، ولهذا فالنساء لن يحصلن على الخلاص بمعنى آخر لو كانت النساء لا يمثلن المسيح فإن المسيح لا يمثل النساء، أو كما تذهب حركة رسامة النساء Women's ordination إن لم تكونوا ترغبون في رسم النساء قسيسات فلتقلعوا عن تعميدها[164].

أما عن مسألة الصلب فقد ذهبت إلى أن لاهوت العصور الوسطى قد فهم يسوع بوصفه كاهنًا ضحى بنفسه على الصليب، واستمر الحال ثم أتت طبقة الكهنوت في الكنيسة لكي تشارك في هذه التضحية وتقديم جسده، ودمه في القداس، ولقد تم استبعاد النساء من هذا الدور على أساس جنسهن، ومن ثم فقد أصبحت النساء ضحايا داخل المسيحية لكنها لم تكن ضحايا ساذجة لهذا التصور اللاهوتي بمعنى أنهن لم يقدمن

([162]) Ibid, p. 84.

([163]) Armin– Ernst Buchrucker: op. cit, p. 14.

([164]) روزماري رادفورد روثر: تحرير الكريستولوجيا "علم طبيعة المسيح"، من النزعة الأبوية، مرجع سابق، ص82.

(ISSN : 2536 - 9555)

أنفسهن ضحايا ساذجة كقربان بسبب خطايا الآخرين، لكن في الحقيقة أن هذا الأمر لا يرفع اللوم أبدًا عن الجنس الأنثوي الذي يشترك في السذاجة مع الكهنة في بعض الأمور الخاصة بكرامة يسوع، وفي تقليد حب التضحية، وقبول دور التضحية والمماثلة أو المطابقة بينهن وبين حواء والشر، وأن الخلاص يأتي فقط من خلال المذكر[165].

وإذا ما انتقلنا إلى قضية الكريستولوجي نجد أنها واحدة من أهم القضايا الأبدية المرتبطة بالمسيحية ولاهوتها بل أنها شغلت بال الفلاسفة واللاهوتيين منذ بدايات المسيحية حتى عصرنا الحاضر، كما أن الكنيسة بدون هذه القضية لا وجود لها، ويرى بعض فلاسفة اللاهوت أن المسائل الحقيقية المتعلقة بطبيعته (هل هي إلهية أم إنسانية أم طبيعتين إلهية وإنسانية) ليست التي يثيرها الناس عنه، ولكن اللاهوت الحقيقي هو ما يقوله يسوع عن نفسه في الأناجيل[166].

وتتصور "دالي" أسطورة المجتمع الأبوي بأنه عبارة عن أسطورة دائرية داخل الثالوث المقدس، فالابن قد انبثق عن الأب، ومن الابن والأب انبثق الروح القدس، كذلك فإن المخلوقات جميعها تشارك في هذا الموكب فهم ينبثقون من الإله الأزلي الذي هو المنتهى بالنسبة لهم والهدف النهائي، فمن خلاله يستطيعون المشاركة في سر المعمودية Baptism كما أنهم يسعون إلى الخلاص من خلال المصالحة Reconciliation مع الأب لأنهم كانوا في عزلة عنه بسبب الخطيئة الأصلية المنقولة لكل البشر من "آدم وحواء" فالأب هو مصدر الابن الكلمة، كما أن الابن يرمز إلى الصورة الثانية للأب، ويشترك معه على نحو جوهري، وظاهري، وفي اتحادهما الكامل يعبران عن حبهما المتبادل لشخص ثالث يسمى الروح القدس[167].

وتستشهد "دالي" باقتراح عالم النفس السويسري "كارل يونج" K. Jung (1875–1961) الذي اقترح إضافة "مريم" لتصبح الشخص الرابع، على الرغم من اعترافها بأن

([165]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 77.

([166]) David P. Scaer: Christology and Feminism, Logia, A Journal of Lutheran Theology Feminism, Vol. ix, No.1, Epiphany, 2000, p. 3.

([167]) Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, pp. 37– 38.

هذا الاقتراح سيكون مرفوضًا من مؤيدي الكنيسة، وعلى ذلك تحاول "دالي" أن تنهج منهجًا فينومينولوجيا في هذه القضية وغيرها من القضايا اللاهوتية يقوم أساسًا على الربط بين المعتقدات الدينية والأساطير فتقوم بإظهار تشابهات عجيبة وغريبة، ترتد بها إلى أساطير يونانية، ورومانية وسومرية للربط بين ما هو ديني أو مقدس، وما هو دنيوي على غرار ما فعله "مرسيا إلياد" في كتاباته المختلفة عن المقدس والدنيوي، والتي تظهر "دالي" إعجابها به في كثير من كتاباتها أيضًا.

وترى "دالي" أنه ربما يكون "يونج" محقًا في اعتقاده ذلك لأن الرموز هي نوع من الحياة بالنسبة لأصحابها، والذي علل افتراضه المقترح بأنه كان بادرة أمل للجهود النفسية الجمعية للتغلب على السطحية، والانقسام المتزمت للخير والشر أى محاولة التغلب على رمزية الشر المرتبطة بالنساء، وترى أن فكرة "يونج" هي فكرة شيقة تركتنا نفكر إن جاز لنا ذلك[168]. والسؤال الآن ما هي الطرق أو المبررات اللاهوتية التي وضعت من جانب الكنيسة، والآباء، واللاهوتيين– في رأى دالي– لتجنب الصراع بين المسيحية والنسوية فيما يتعلق بمشكلة الكريستولوجي أو بعبارة أدق ما هي الطرق التي اتخذتها الكنيسة كي تقوم بإسكات أو صمت المرأة، وتحفظ للسلطة الأبوية مكانتها؟

لقد خلصت "دالي" إلى أن هناك أربع طرق روجت لها الكنيسة من أجل أن تخفف حدة الوطأة والصدام والنقد النسوي، وهذه الطرق يمكن تحليلها داخل أربع مقولات تتعلق بمشكلة الكريستولوجيا.

1– العالمية أو الكونية Universalization التي يحظى بها يسوع، وهي إحدى الطرق لتجنب المشكلة، فيقال على سبيل المثال بأن يسوع لم يكن امرأة أو أسود أو صيني أو ما شابه ذلك، ولكن "دالي" ترى أن المشكلة لا تكمن في العمومية أو في الحقيقة القائلة بأن يسوع كان ذكرًا، وشابًا وساميًا، ولكن المشكلة تكمن في المطابقة الحصرية لشخص يسوع في ارتباطه بالله، وفي مثل هذه الحالة فإن المفاهيم المسيحية الخاصة بالألوهية وبصورة الرب موجودة في يسوع وفي تجسده الإلهي، وهو أمر لا يمكن تصديقه من جانب "دالي" بل تعتبر أن هذا الأمر فضيحة وثنية لمؤيديه[169].

([168]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 89.

([169]) Ibid, pp. 78– 79.

(ISSN : 2536 - 9555)

وترد "دالي" على هذه الفكرة إلى أن العالمية أو الكونية تقصي النساء من الكهنوت وتجعل وظائف الكهنوت قاصرة على الرجال بغض النظر عن السن أو العرق من أجل الإبقاء على النفس التسلسلي الهرمي الجنسي المتمثل في الذكر[170].

2- الطريقة الثانية هي الخصوصية: وتركزت هذه الطريقة على أوضاع لاهوتية معينة في محاولتها للحد من القمع أو الظلم خاصة في أزمان، أو أماكن، أو مؤسسات معينة، وفي مناطق محددة من النشاط، وهكذا فإن البروتستانتية غالبًا ما ترى أن المشكلة خاصة بالكاثوليكية، والكاثوليكية تحيل مشكلاتها بأن ترتد بها إلى العصور الوسطى وليس إلى الوقت الحاضر، كما أن التحيز اللاهوتي ضد النساء يتعلق باستبعادهن من التسلسل الهرمي، وترى "دالي" أن هذه الطريقة هي طريقة فاشلة لأنها تنحاز ضد النساء وتعتمد على المراوغة[171].

3- الطريقة الثالثة وهي الروحية: وترفض "دالي" هذه الطريقة وترى أنها بمثابة مسكنات للتعلق بنصوص بولس وقوله "في المسيح لا يوجد ذكر أو أنثى" فهذا مثال روحي، وترى "دالي" أن هذا الأمر ليس حقيقيًا لأن نصوص بولس تؤكد على أن يسوع ما زال رمزًا لمذكر يشار إليه بالضمير He، كما أن اسم المسيح مرادف لاسم مذكر، فتسميته مرادفة لحقيقته، وبالتالي تستبعد الأنثى، وتخلص "دالي" إلى أن الروحية تقدم للنساء مغالطة مستقبلية بأن النساء سيحصلن على حقوقهن في المساواة، ولكن في حقيقة الأمر أن الروحية هي انتقاص من قدر النساء، وتأكيد على قمعهن أو ظلمهن[172]. كذلك فقد عبر عنها بطرس في رسالته الثانية موضحًا أن مجيئ المسيح سيكون بغته لأولئك الذين لا يؤمون به[173].

([170]) Ibid, p. 70, 79.

([171]) Mary Daly: Pure Lust, op. cit, pp. 322- 333.

وانظر: - Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 79.

([172]) لقد جاء في رسالة بطرس الثانية (3: 0) إلا أن يوم الرب سيأتي كما يأتي اللص في الليل، في ذلك اليوم تزول السماوات محدثة دويًا هائلاً، وتنحل العناصر محترقة بنار شديدة، وتحترق الأرض وما فيها من منجزات" وانظر:

- Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 4.

([173]) Mary Daly: Pure Lust, op. cit, p. 10.

4- الطريقة الرابعة وهي السطحية Trivialization وهي نهج متضمن أو ملازم أيضًا للطرق الثلاثة السابقة، فمن الممكن التعميم أو الخصوصية أو الروحانية بمعزل عن الصراع بين ما هو لائق أو مناسب للمرأة، وبين عبادة المسيح بوصفه إلهًا ذلك لأن التطلعات النسوية من وجهة نظر "دالي" لا تؤخذ على محمل الجد فكثيرًا ما يطلب من النساء اللواتي يقمن بإثارة مشكلات أو قضايا أن يقمن بتحويل عقولهن إلى قضايا أو أسئلة مهمة أو أكثر جدية[174]. ولعلها متأثرة هنا ببول تيليش الذي أكد على أننا نتمسك بالاهتمامات السطحية كما لو كانت اهتمامات قصوى وهي تبقينا في قبضتها كما لو كنا نحاول أن نحرر أنفسنا منها وأن كل اهتمام طاغ يريد قلبنا وعقلنا وقوتنا كلها ليصبح إلهنا[175].

ونخلص من ذلك إلى أننا إذا تأملنا حجج "ماري دالي" واعتراضاتها سوف ندرك أنها تنصب جميعًا على مفهوم الثورة النسوية تجاه تلك القيود التي جلبها الكهنة لتقييد المرأة، وانتهاك حريتها والسطو على حقوقها في تلك الحياة، ويبدو ذلك في تبريرها لتلك النزعة الإلحادية الواضحة، إذ تصرح بأن هدفها ليس هو نقض العقائد المسيحية الرئيسة في الميلاد العذري، والتجسد، الفداء، والخلاص بل فضح الأكاذيب والأوهام التي تعمد الكهنة إلحاقها بمقام الألوهية لتبرر، وترخص، وتشرع لهم جورهم للنساء على مر التاريخ وذلك بوضع المرأة أمام اختيارين إما أن تسلم بوضعها المهين أمام الرجل أو تكفر بالألوهية والكتب المقدسة التي أوصت بعذابها، وإهانتها، فالعلمانية لم تكن مطلبًا ساذجًا، أو رغبة عبثية من قبل الثائرات في فلسفتهن النسوية بل كانت ضرورة- في رأيها- لرفض الإله الذكوري.

5) **تحرير النساء والثورة الثقافية**:

أ] الإقدام النسوي من أجل التحرير:

تعتبر دالي أن الحركة النسوية هي الوجود الجديد والمصدر الحقيقي الفعال للحركات الثورية الأخرى مثل تحرير السود وحركة السلام. وتعد الحركة النسوية من وجهة نظرها هي الحافز الذي يدفع النساء والرجال للخروج من سجن التدمير الذاتي، ومن سجن الانقسامات الثنائية الأبدية التي خلفها الآباء المؤسسون، كما أن الحركة النسوية الراديكالية هي التي تحقق التقدم بدقة لأنها تؤدي إلى حدس وجودي، وهي

([174]) Ibid, p. 80.

([175]) بول تيليش: الوجود الجديد، مرجع سابق، ص191.

(ISSN : 2536 - 9555)

وحدها التي يمكن أن تكون العلة النهائية Final Cause التي تفتح الوعي الإنساني بصورة كافية أو مناسبة وتكشف عن التحيز الجنسي بوصفه المصدر الأساسي للقمع، فعندما نتجاوز الثنائيات الزائفة يحدث التغير الحقيقي(176). لقد رفعت "دالي" في ثورتها النسوية شعار "نيتشه" ما لا يميتني يجعلني أقوى، فأكدت على أن أى امرأة محطمة ما زالت على قيد الحياة يتعين عليها المشاركة في عملية الصراع من أجل الحرية، فرأت أن النساء في ثورتهن لديهن القدرة على اكتشاف زمان ومكان جديد من أجل إبداع شيء إيجابي وعميق وأبعد مما يفعله الرجال من أجل الوصول إلى حافة السؤال الراديكالي من أنا؟(177). فالثورة النسوية هي ظاهرة مميزة لحياة اجتماعية بسيطة وتتأتى وجهة النظر في هذه الثورة من الخبرات المتجسدة المتمثلة في الرفض الجماعي للنظر اليهن بوصفهن الآخر (178).

إن هذه الثورة ستكون نتيجة للصمت المتعلق بتاريخ النساء منذ فجر السلطة الآبوية التي مارست القمع فأجهضت الإبداع النسوي الذي بلغ حيزًا كبيرًا لدرجة أن بعض المفكرات النسويات كن يكتبن مؤلفاتهن باسم مستعار أو اسم رجل من أجل أن تحظى كتاباتهن بالقبول وخير مثال على ذلك الروائية لامانتين اورو لوسيل Amantine Auro Lucite (1804–1876) التي كانت تكتب باسم جورج ساند G. Sand واشتهرت بهذا الاسم وكذلك الروائية الانجليزية ماري آن ايفانس Mary Ann Evansx (1819–1880) التي كانت تكتب باسم جورج أليوت G. Eliot، وكذلك الأخوان برونتي The Bronte في الأدب الانجليزي(179). كل هذا ينم عن لا إنسانية الذكور– في رأي دالي– الذين يعاملون النساء كمجرد أدوات جنسية، ولذلك قامت بتشجيع النساء على ثقافة الإقدام فطورت ما يعرف بالروحية النسوية كمقابل للبدنية الذكورية والعنف مما يشكل انقلابًا على السلطة الأبوية المعادية للمرأة(180).

(176) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 190.

(177) Bonnie Mann: Appendix to New intergalactic introduction Gyn/ Ecology in the lives of Women in the real world in Daly's Book Gyn/ Ecology, Beacon press, Boston, 1990, p. xxxvi.

(178) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 104.

(179) Loc. Cit.

(180) James J. Bacik: The Feminist Theology of Rosemary Reuther: Challenge to Pope Francis,

وكشفت دالي عن الإحصائات والنقاشات التي أجريت حول الدين والاجهاض فأكدت أن نسبة مائة في المائة من الأساقفة يعارضون إلغاء القانون الخاص بالإجهاض يقابلها على الجانب الآخر مائة في المائة من النساء لديهن الرغبة في أن يصدر قانون حق النساء في الأجهاض وهو الأمر الذي يدل على حالة الاضطهاد الذكوري، فالحجج الأخلاقية المقدمة بالنسبة لهذا الموضوع على أقل تقدير غير واقعية، فبأي منطق يمكن للنساء إنجاب أطفال غير مرغوب فيهم مع العار والفقر والمرض لنساء تحت رحمة الجهاز التناسلي، ومن ثم فقد أصبحت قضية الإجهاض نقطة محورية لصراع درامي بين أخلاقيات التسلق الأبوي وأخلاق الشجاعة والإقدام في مواجهة الغموض[181]، وعلى ذلك فقد أشارت دالي إلى تحرير النساء كثورة روحية تمثل الرد المناسب الذي يتضمن التلاقي الجذري مع العدمية ويحمل معه موجة جديدة من الأمل الأنطولوجي، الأمل الفعال للنساء في هذه المرحلة من التاريخ بديلاً من الوضع الهامشي فهي تتمسك بلاهوت الأمل Theology of Hope متفقة في ذلك مع "يوهانز ميتز" في أن الأمل سيكون فعالً وخلاقً وإبداعيًا وهو جماعي مشترك وليس فرديًا لأنه مؤسس على الإقدام من أجل الوجود وقائم على التميز والمشاركة لأنه مستمد مما هو أبعد من شيئية الإله، وتصور محدوديته الخيرة المعطاءة المقدسة لتفضيله. إن هذا الأمل ثوري ينطوي على علاقات داخلية عميقة بالموجودات الإنسانية وغير الإنسانية فهو أمل كوني أو عالمي يتم توجيه دينامياته إلى المجتمع العالمي لأنه أبعد من المعتقدات الخرافية الراسخة المنتشرة في كل مكان[182].

وعلى هذا الأساس فقد طالبت دالي النساء بالإقدام من أجل التحرر متأثرة في ذلك بـ بول تيليش ورأت أن محاولات اللاهوتيات النسويات إصلاح وتحديث اللاهوت تدخل ضمن أنماط مقبولة ومن ثم فقد آن الآوان لعلماء اللاهوت أن يكونوا على بينة من النصوص الأكثر إلهامًا لكرامة النساء بصورة فجة في كتابات أصحاب السلطة الدينية وكذلك اللاهوتيين بداية من اوغسطين والاكويني ولوثر ونوكس حتى كارل بارت والتي تثبت أنها غير قابلة للتحقق من ناحية ولا وزن لها من ناحية أخرى[183]، فالحل يكمن إذن في التحلي بالشجاعة الوجودية من أجل مواجهة بنية الشر المتمثلة في السلطة الأبوية، ومواجهة خبرة العدم، فكل الموجودات الإنسانية مهددة بالعدم، وتطالب دالي

– http:///www.James.bacik@gmail.com,p.10.

([181]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 110.

([182]) Ibid, pp. 32– 33.

([183]) Ibid, p. 22.

(ISSN : 2536 - 9555)

النساء بإنكارهن لذواتهن، ورأت أن النساء اللاتي يقبلن دور ربة المنزل يتجنبن المشاركة في الوجود، فبالتالي فهن غير قادرات على الإبداع وعبرت عن ذلك قائلة "إن الإقدام هو مفتاح القوة الملهمة للثورة النسوية"[184]. وتعزو ذلك– في مقدمة كتابها علم النساء– الفضل في إلهامها وكسر حاجز الصمت والصوت إلى كل من "ماتيلدا جوسلين جاج" Matilda Joslyn Gag (1826– 1898) و"فرجينا وولف"[185].

وتحاول دالي تطبيق فكر تيليش الوجودي وفهمه للشجاعة من أجل التحرر النسوي فترى أن الشجاعة الوجودية تتسم بأنها ديناميكية وتحدد لها جانبين: الشجاعة من أجل الوجود كذات للإنسان، والشجاعة من أجل الوجود كمشاركة، وذلك من أجل تحقيق الإبداع والجماعية والأمل الثوري الممكن إلى الحد الذي يجعل الشجاعة تعبيرًا عن المواجهة مع القوى الدنيوية، فهذه المواجهة هي البعد الذي يجعل الشجاعة تفضي إلى الأمل الإبداعي، وعلاوة على ذلك فإن الجمع بين الأمل والشجاعة يكمن في ديناميات الثورة النسوية التي تتضمن الانفصال والعودة وذلك عن طريق ترك الماضي والوعي بخلق تاريخنا وتغيير الماضي، أي توسيع فهمنا له فيحدث الانفصال والعودة عندما نؤسس لمغزى الأحداث النسوية التي تجاهلها المؤرخون مثل الانجازات التي قامت بها النساء العظيمات على مر التاريخ لكن هذا التجاهل هدفه تكريس ظلم النساء[186]، ومن ثم فإننا إذا قارنا بين الشجاعة عند تيليش والشجاعة عن دالي نجد أن الشجاعة عند كل منهما حقيقة أخلاقية، لكن جذورها موجودة على اتساع الوجود الإنساني، وفي بنية الوجود ذاته وهي الاستجابة لتهديد اللاوجود لكن موقف دالي من الشجاعة أبسط من موقف تيليش، فالشجاعة عند دالي مهمة لإرادة النساء من أجل المضي قدمًا للنظر في المعايير والمبادئ المجتمعية التي تحتاج للإرادة والإقدام التي تنبثق داخل العالم دون نموذج أو مثال[187]، ورفضت دالي كل صور الحتمية الصلبة وأكدت على أن البشر يصنعون أنفسهم من خلال اختياراتهم وهي تسير في ذلك على نهج كل من فرجينا وولف (1882– 1941) V. Woolf وسيمون دي بوفوار[188].

([184]) Ibid, pp. 23– 24.

([185]) Mar Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, p. iii.

([186]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 27.

([187]) Laurel C. Schneider: The Courage to see and to sin: op. cit, p. 64.

([188]) Amber I. Kathrine: A mazing world– Travelling the pluralist future of Radical Feminism Ph. D in philosophy Michigan state university, 1997, p. 73.

وعلى ذلك يمكن القول بأن تطور الروحية النسوية قد تضمن أهدافًا وجودية من أجل الحصول على ذات إنسانية حقة، وذلك من خلال استخدام دالي لمصطلحات من الفلسفة الوجودية من عند كل من نيتشه، ودي بوفوار، وتيليش. علاوة على تأثرها بمارتن بوبر M. Buber (1878-1965) حيث أكدت على أن العنصر المتميز الذي يلائم النسويات في حديثهن عن الإله هو حديث بوبر عن العلاقات بين الأنا والأنت I and Thou والتي تجعلها قاصرة على العلاقة بين النساء بعضهن البعض وليس بين الرجال والنساء كما تعدها أساسًا لعلاقات الحوار والتواصل والإبداع بين الأشخاص كما يتعين عليهن رفضت علاقة الأنا- هو I and It الذي ينظر إلى الآخر على أنه مجرد شيء[189]، لكن دالي أخذت ما يناسبها فقط من بوبر وتجاهلت النوع الثاني من العلاقات عنده المتمثل في العلاقة بين الأنا والأنت الأبدي I and Eternal Thou والذي تستبعده تماما، كما أن العلاقة بين النساء والكنيسة في رأي دالي هي أشبه بالعلاقة بين الأنا- هو أي أن الكنيسة من وجهة نظرها تنظر إلى المرأة بوصفها كائن غير عاقل أو شيء من الأشياء مما أصاب النساء بالاغتراب.

وتمضي دالي فتؤكد أن الكتابات اللاهوتية قد شابها القصور فيما يتعلق بمفهوم الوجود الإنساني النسوي، فإذا أردنا الحكم على هذه الكتابات بداية من فردريك جوجارتن F. Gogarten (1887-1967) ومرورًا "بهارفي كوكس" H. Cox (1929-) وليسلي ديورات Leslie Dewart وانتهاءً بـ وولفهارت بانبرج، نجد اختفاء معنى الوجود بالنسبة للوعي المعاصر[190]، ولعل دالي متأثرة هنا بسيمون دي بوفوار التي انتقدت الإيمان المسيحي بوجه عام والكاثوليكي بوجه خاص لما يمتلكه من خلفيات سلبية عن تحرير النساء على الرغم من أن دالي قاومت وجهة نظر دي بوفوار في البداية إلا أنها اقتنعت بها وتبنتها في النهاية، ومنها استمدت النقد المعاصر للدين باسم الحركة النسوية، هذا النقد الذي يرجع تاريخه لعصر التنوير الذي أراد أن يحرر النساء من التبعية الحقيقية للإيمان الديني بوجه عام والمؤسسات الدينية بوجه خاص[191].

وقد أيدت بوفوار رفض العقلانية الوجودية لمسألة وجود الله لكنها اعترفت بأن الإيمان الديني يساعد النساء أحيانًا على الاستقلال وتجاوز الحدود المفروضة عليهن ويسهم في التحقق الفعلي للنساء، وهذا ما تنبهت إليه دالي في كتابها "الكنيسة والجنس الثاني" لكن دالي قد ذهبت إلى أبعد مما ذهبت إليه دي بوفوار بكثير في الانتقادات

(189) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 39.

(190) Ibid, p. 27.

(191) Ann- Marie Korte, op. cit, p. 6.

(ISSN : 2536 - 9555)

المعاصرة للدين إذ نظرت إلى السلطة الأبوية بوصفها دينًا في حد ذاته ورأتها مسئولة عن عدم التوازن بين الجنسين[192].

كذلك تتفق دالي مع ما ذهبت إليه دي بوفوار أيضا من أن المسيحية قد أوجدت للنساء وهم المساواة ذلك لأن مصلحة الرجل تحميل الإله مسئولية كل القوانين التي يصيغها خصوصًا وأنه يمارس سلطة مطلقة على المرأة، فالرجل هو السيد بفعل الحق الإلهي، ومن ثم فإن الخوف من الإله– عند كل من "بوفوار"، و"دالي"– يخنق لدى المضطهدة كل بذرة ثورية ويطلب منها أن تعتقد أنها بفضل الله مساوية للذكر السيد أكثر مما يطلب منها أن تقبل دونيتها باسم الله وتلغي حتى محاولة الثورة بدعوى إزالة الظلم، وبدعوى أن المرأة لم تعد محرومة من تساميها طالما أنها مكرسة عملها للإله، فاستحقاق حسنات الأنفس لا يكون على الأرض ولكن فقط في السماء[193].

ولقد هاجمت دالي النساء البطريركيات اللاتي يعشن في كنف الرجال واتهمتهن بأنهن ضد التحرر ووصفتهن بأوصاف متعددة هذه الأوصاف هي خدمة للرجال فهؤلاء النسويات خجولات ومستأنسات متواضعات متبلدات يعانين الكبت كما أنهن يفتقدن إلى الحماس والروح لأنهن يكرسن أنفسهن لعبادة الإله المذكر[194]، وهذا يعني أن دالي لديها كراهية لجنسها من النساء اللاتي يعشن خاضعات في كنف السلطة الأبوية ويتخيلن أن أزواجهن استثناء، وبالتالي يكرسن للامساواة.

ب] الأنثى الأبدية في مقابل التأخي النسوي أو الأختية النسوية Sisterhood:

لقد رفضت دالي أسطورة الأنثى الأبدية Eternal feminine واعتبرتها العدو الحقيقي للمرأة التي تبحث عن التحقق الذاتي وعدو لوجودها المتفرد كشخصية متميزة وعدو التوسع الإبداعي بالنسبة لها[195]، ولعلها متأثرة في ذلك بسيمون دي بوفوار التي أرجعت الاختلافات بين الجنسين للثقافة المغروسة بواسطة السلطة الأبوية وليست إلى الاختلافات البيولوجية، إن تحرير النساء يعتمد على تحررهن من البنية الاجتماعية لمفهوم الأنثى الأبدية[196]، وعبرت دي بوفوار عن ذلك في كتابها الجنس الآخر قائلة

([192]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 22.

([193]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, pp. 59– 60.
وانظر: سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، الجزء الثاني، التجربة الحياتية، مرجع سابق، ص407.

([194]) Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, p. 344.

([195]) Mary Daly: the Church and the Second Sex, op. cit, p. 150.

([196]) Ibid, p. 147.

"إن الأنثى لا تولد أنثى ولكنها تصير كذلك بفعل المجتمع"[197]، إن هذا القول من جانب دي بوفوار نابع من فلسفتها الوجودية التي تؤكد على أن الإنسان يخلق ماهيته بنفسه وبالتالي فإن المرأة لم تختار ذلك وإنما المجتمع هو الذي حولها لما هي عليه وقد لاقى هذا القول اعجابًا من دالي الذي تستشهد به كثيرًا في كتاباتها.

وتؤكد دالي على أن النظرة إلى مريم بوصفها النموذج لكل النساء وهو في حد ذاته تكريس وترسيخ للفكرة التي رسخت لها الكنيسة الكاثوليكية في عقلية الرومان المحافظين بالنسبة للأنثى المحافظة التي تمثل تحديًا للرجال الأشرار المنغمسين في الملذات والتي يطلق عليها أسطورة الأنثى الأبدية والتي كرست لها الكنيسة أيضا بفكرة القوالب النمطية Stereotypes النسوية ودور النساء وفقا للغرض الإلهي والأمر الإلهي[198]، ولعلها متأثرة أيضا بما ذهبت إليه سيمون دي بوفوار.

وعلى ذلك رفضت دالي أنت تكون مريم هي النموذج والرمز للنسوية لعدة اعتبارات منها أن قدرًا كبيرًا من تاريخ شخصيتها معروف، كما أن هناك أوجه قصور في المعرفة التاريخية المليئة بالخيال الإبداعي فهي لم تتصرف كقائدة أو كاهنة، أضف إلى ذلك أن هناك خلطًا كبيرًا بين نموذج علاقة المسيح بأمه وعلاقة الرجل بالمرأة، كما أن النساء في الواقع لسن رموز لأنهن أشخاص، وكل شخص منهن له موضوع متفرد فعندما نعتبر الشخص كرمز فإن هذا معناه أن نعامله أو نعاملها كشيء[199]. وطالبت دالي الكنيسة بالتخلص من هذه الأسطورة لأنها رمز للخضوع والخنوع والضعف والسلبية وعبرت عن ذلك قائلة "إنه يتعين على الكنيسة أن تتخلص من المرأة الأبدية شأنها في ذلك شأن التخلص من الأنثى الأبدية فكلتا الأسطورتان هدام لأن التحليل النهائي بالنسبة لهما يكشف عن السلبية والتفاهة"[200]. ولا تتوقع دالي بأن الحجج المنطقية سوف تقنع أنصار مؤيدي أسطورة الأنثى الأبدية لأن المشكلة تراكمية وتطورية بالإضافة إلى النفوذ التي تحظى به المنظمات الكاثوليكية والإعلام الخاص بها وهو الأمر الذي يستوجب البحث عن طرق بديلة لطرد الأرواح الشريرة من أجل التغلب على جذور هذه المشكلة المعقدة التي لها تأثير مدمر على علاقة الرجل بالمرأة لأن المرأة تكون هي الضحية ومغتربة عن أعماق ذاتها وليس بإمكانها المشاركة في اتحاد حقيقي لأنها ليست شخصًا

([197]) سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، الجزء الثاني، التجربة الحياتية، مرجع سابق، ص13.

([198]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, pp. 157- 170.

([199]) Ibid, pp. 161- 162.

([200]) Mary Daly: The Church and Second Sex, op. cit, p. 170.

(ISSN : 2536 - 9555)

حقيقًا فهي تأمل أن تكون مرغوبة، لكن كل شيء يمثل نكوصًا وعودة إلى الوراء بالنسبة لها[201].

ولقد انتقدت دالي كل من الفيلسوفة اللاهوتية الألمانية "جيرترد فون لي فورت" Gertrud Von Le Fort (1876–1971) والفيلسوف اللاهوتي الفرنسي "تيلارد دي شاردن" في محاولة تطويرهما لفكرة الأنثى الأبدية، فإذا نظرنا إلى الأولى نجد أنها قامت بتطوير العديد من الأفكار الخاصة بالأنثى الأبدية في كتابها الموسوم بهذا الاسم– والذي ترجم إلى العديد من اللغات وكان له صداه الواسع– فهو أشبه ما يكون بمشروع لكن تم اجهاضه وحكم عليه بالفشل لأنه لا يسلم بالحقيقة القائلة بأن الرموز الإنسانية مستمدة من حقائق واحداث اجتماعية وتاريخية وبيولوجية ونفسية[202]، ذلك لأن الرموز تلعب دورًا هامًا في الفكر الإنساني وهي سجل الخبرات بما تمتلكه من قوة جذابة في نقل بعض الحقائق المعترف بها، وتتفق دالي في هذا الصدد مع بول تيليش الذي اشار إلى أن الرموز شأنها شأن الموجودات الحية تنمو وتموت، فهي تنمو عندما يحين الموقف وتموت عندما يكون الموقف شاحبًا[203]، أما الثاني فعلى الرغم من كونه تطوريًا متسمًا بعديد من الأفكار الليبرالية والتفاؤلية تجاه العلاقات إلا أنه قد فشل في أن يتوسع بوجهة نظره إلى الأنثى التي تمثل نصف المجتمع البشري، فقد اتجه لأن يفهم المرأة على أنها مشابهة للمادة والرجل على أنه مماثل للروح ليصل إلى نتيجة مؤداها أن المادة وجدت من أجل الروح التي أنبثقت منها[204].

ب– التأخي النسوي أو الأختية النسوية:

توسعت دالي في كتابها "ما هو أبعد من الإله الأب" في الحديث عن التآخي النسوي بوصفه ميثاقًا عالميًا فأفردت له فصلاً كاملاً فقالت من المغري أن نسمي هذا الفصل التأخي النسوي بوصفه كنيسة لكي نعبر عن مبادئ الحركة النسوية من خلال نمطها الوجودي المناهض للكنيسة[205]، أي أن دالي على وعي بقوة الكنيسة وتأثيرها لدى اتباعها ومن ثم فهي تريد للتأخي النسوي أن يكون قوة مستمرة للأبد.

([201]) Ibid, pp. 173– 177.

([202]) Ibid, p. 148.

([203]) Ibid, pp. 164– 165.

([204]) Ibid, pp. 151– 153.

([205]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 155.

وعلى ذلك فقد رأت دالي في التأخي النسوي بديلاً عن إخفاقات الكنيسة وعجزها عن القيام بمسئولياتها تجاه النساء وعبرت عن ذلك قائلة إن من أكثر الأمور الواضحة إيلامًا أنه يوجد أمامنا طريقًا طويل، فالمسيحية بوجه عام والكاثوليكية بوجه خاص لم تواجه بعد مسئولياتها تجاه طرد شيطان التحيز أو التعصبي الجنسي، فهي في الحقيقة تخلفت عن ركب الثقافة المعاصرة في هذه المشكلة ويتعين على الكنيسة أن تعترف باخفاقتها الماضية، على الرغم من أن كثيرا من الظروف الاجتماعية الماضية يمكن تغاضيها أو التماس العذر في اخفاقاتها لكن ليس معنى ذلك أن تظل الأعذار مقبولة في كل وقت، فإذا لم تقم المؤسسة الكنسية بمسؤولياتها في الصراع تجاه قوى الظلام فليقم الأفراد والجماعات المسيحية بتحمل هذه المسئولية[206].

وتعرف دالي التأخي النسوي أو الأختية النسوية بأنها رابطة لظاهرة ثورية تعد نقطة انطلاق نحو التحرر، إذ أنها جهد فعال لعلاج الازدواجية داخل النسوية ذاتها بدلا من الاندماج الوهمي داخل أخوية الرجال، فهي تمد النساء بالأساس الواقعي لقبول رباط التأخي النسوي وبدونه يتم التضحية بالنساء في غياهب الاعتماد العاطفي على الرجال، فهذه الرابطة تقول لا للنظام الاجتماعي الذي سيطر منذ الأزل. إنها لم تعد تعني الخضوع ولكنها تعني الرابطة الحقيقية للنساء على نطاق واسع من أجل تحررهن وضرورية للتغلب على العجز والكراهية الممتدة للنساء والطبقية، وسيكون خطأ أن نعتقد أن هذا مجرد دور نسوي معكوس للأخوية الذكورية[207]. فالأمر مختلف لأن جوهر أو لب التأخي النسوي هو إثبات وتأكيد الحرية النسوية[208]، فهي بمثابة ثورة للأم وللإبنة معًا في صورة أبعد ما تكون عن صورة السيدة العذراء وأبعد ما تكون عن صورة الجندي المتردد في القتال، إن المشاركة والمعية والزمالة تتأتى من عدم الاحتجاب أو التخفي في أي دور ومن عدم اليأس وذلك من أجل التطلع إلى العصر الفردوسي[209].

ويمثل التأخي النسوي عند دالي اتحاد فريد ورابطة وارتباط من جانب النساء ضد الانتقاص من قدرهن في طبيعة أدنى، وبالتالي فإن موقفها مناهض للكنيسة لأن الأختية

([206]) Mary Daly: The Church and the Second Sex, op. cit, p. 219.

([207]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, pp. 59- 60.

([208]) Amber L. Kathrine: Amazing World- Travelling, the Pluralist future of Radical Feminism, op. cit, p. 162.

([209]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 150.

(ISSN : 2536 - 9555)

هي تطوير لواقع اجتماعي يضعف مصداقية الديانة القائمة على التحيز الجنسي إلى الدرجة التي يستطيع بها التأخي النسوي تقويض هذا التمييز دون أي اهتمام واعٍ من الكنيسة ومن ثم يحدث صراع ذلك لأن نمو وتطور حركة الأختية النسوية يمثل تهديدًا فريدًا من نوعه لأنه موجه مباشرة ضد النموذج الاجتماعي والنفسي للهيئة الكهنوتية، والهيمنة الاستبدادية باسم الدين[210]، هذا يعني أن دالي ترفض أي حدود يمكن فرضها على النساء بالقوة.

لذلك طالبت دالي النساء بأن يتغلبن على الانقسامات الموجودة بين بعضهن البعض الآخر وتتساءل كيف يمكن اقصاء أو استبعاد نصف الجنس البشري من الكهنوت كما لو كان هذا أمرًا طبيعيًا، فلا يوجد مساواة بين الرجال والنساء، فالأمر مختلف تمامًا وكيف يسمح لأي صبي بخدمة القداس ولا يسمح لامرأة حاملة لشهادة الدكتوراه أن تقوم بنفس المهمة بل ويتم اقصائها مطلقًا من هذه الوظيفة[211].

ويمثل الوفاء بالعهد مصدرًا هامًا بالنسبة للتأخي داخل الوجود النسوي فبزوغ فجر هذا العهد أو الميثاق بداخل النساء يضعهن في تواصل مع ذواتهن ويقودهن إلى أعمق شيء ممكن موجود في المجتمع، تقول دالي هناك عهد أو ميثاق بيننا ليس بمعنى اتفاقية مكتوبة أو مصاغة على وجه الدقة ولكن بمعنى أعمق من ذلك بكثير يتمثل في الانسجام أو التوافق، فكلمة عهد أو ميثاق جزء من اللغة تتسم بالقطع والقسم... فالعهد هو الاتفاق العميق الحاضر داخل الذات وبين ذواتنا الأخرى والذي يتزايد في توافق وانسجام مع البيئة، كما أن العهد أيضا له معناه في القانون العام غير المكتوب المبني على العرف والتقاليد[212]، ولعل دالي متأثرة هنا بالفلسفة الوجودية وخصوصًا فلسفة كارل ياسبرز وفكرته في التواصل والانفتاح على الذوات.

وصفوة القول فإن التآخي النسوي عند دالي ورفيقاتها هو ميثاق عالمي، وأسلوب من التواصل المجتمعي النسوي لا يمكن التعبير عنه على نحو كاف بمصطلح مثل الارسالية الدينية أو التبشيرية Mission التي تراها دالي اصطلاحًا خاطئًا لأنها أحادية

([210]) Ibid, p. 133.

([211]) Loc cit.

([212]) Ibid, p. 159.

الجانب في تأكيدها الجانب الديني فقط أما الحقيقة المتجسدة فهي موجودة في التواصل الذي لا يتضمن اقحام لذات على حساب الذات الأخرى، لأن العلاقات في الأختية النسوية تتسم بالتبادلية وتفسير وجهات النظر من خلال المشاركة والمعية في الوجود الكوني وهذا بمثابة دعوة– من جانب دالي– لتوسيع الفضاء الجديد لوعي المرأة من أجل مواجهة العدمية، ودعوة لترك فضاء السلطة الأبوية التي تكرس للاغتراب لأن مجتمع الأختية النسوية لا يوجد به عقائد أو تسلسل هرمي على عكس مجتمع السلطة الأبوية[213].

وقد نادت دالي بالسحاقية Lesbianism– وكانت من أنصارها– بوصفها تمردًا على المجتمع الذي يقوم بقمع الجنس ورفضت اختزال الجنس في عملية الانجاب، فالسحاق يعني في رأيها رفض كل الولاءات الزائفة للرجال من جانب النساء على كل المستويات والإبقاء على علاقة النساء بعضهن البعض من كل المستويات[214]، واعتبرت دالي أن مثل هذا الأمر يمثل رباطًا وثيقًا لحب النساء بعضهن البعض وتشجيع لهن لتلتف كل منهن حول الأخرى وهو ميل طبيعي ورغبة قوية تميزها عن أي علاقة أخرى كارتباطها بالرجل الذي يتسم بالسادية والسيطرة[215]. أى أن هذا لا يعد هروبًا من المجتمع بقدر ما يعد تقوية للصلات والروابط بينهن.

أما عن أهم الانتقادات التي وجهت لدالي فقد نشرت المفكرة الأمريكية أدر لورد Auder Lorde (1934–1992) المدافعة عن الحقوق المدنية للسود مقالاً تهاجم فيه دالي بعنوان "خطاب مفتوح إلى دالي" طالبتها بفتح حوار نقدي يخدم قضايا النساء

([213]) Ibid, p. 169.

([214]) Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, p. 26.

([215]) Sheila Jerffeys: Unpacking Queer Politics, A lesbian and Feminist Perspective? Polity Press in associated with Black well publishers LtD, Cambridge, 2003, p. 21.

انظر:

- Mary E. Hunt: Lesbian Religious History: High Lights in the Low Lights Religious archives Network, Chicago, Theological Seminary, April, 2003, p. 3.

(ISSN : 2536 - 9555)

جميعًا بما في ذلك السود، ومحو الاختلافات بين البيض والسود واتهمت لورد دالي بالغموض ورأت أنها لم تقرأ أعمالها ولا أعمال النساء السود، وأكدت على أن مشروع دالي يخص النساء البيض اللاتي تصفهن دالي بالقدرة الإبداعية على التغيير، أما السود فلسن كذلك وهو الأمر الذي يزيد الفرقة والفجوة بين النساء وانتقدتها فيما يتعلق بتصورها للإلهة النسوية وطبيعتها إذ تجعلها قاصرة على البيئة الأوروبية اليهودية والمسيحية، فكل هذا يتعارض مع مبادئ الأختية النسوية التي تنادي بها[216]، لكن دالي لم ترد واعترفت بخطاب لورد في مقدمة جديدة لكتاب علم دراسة النساء في عام 1990 وقالت أن عدم ردها على لورد كان لأسباب شخصية، ولقد فسرت العديد من النسويات والدارسين لفلسفة دالي أن عدم ردها ربما يرجع إلى قصور في كتابها علم دراسة النساء، كما أن هناك أسباب عميقة ومعقدة من جانب دالي للرد[217]، فهذا المقال في إحدى تفسيراته يمثل رفضًا تامًا لمشروع دالي أو على أقل تقدير إعادة الخلل الموجود في بناءه[218].

أما "تراسي ث. وست" Traci C. West فقد تأثرت بدالي ورأت أنها قد ألهمتها بالعديد من الأفكار فدافعت عنها ورأت أن لورد لم تكن محقة في نقدها لدالي، ذلك لأن هدف الدراسات الدينية واللاهوتية هي أن تكون ملائمة لكل النساء سواء البيض أو السود في أي مكان[219]، في حين رأت "اليزابيث سبلمان" E. Spelman أن دالي قد فشلت في أن تصف على نحو كافٍ خبرة النساء السود ونضالهن، فجاءت تحليلاتها

(216) Audre Lorde: An open letter to Mary Daly in sister outsider, Essays and Speeches, Trumansburg, N. Y, 1984, pp. 66- 70.

(217) Amber I. Kathrine: A too early Morning: Audre Lorde's "An open letter to Mary Daly's and Daly's Decision not to respond in kind, An Essay in Feminist interpretations of Mary Daly ed. By Sarah Lucia Hoagland, the Pennsylvania university press, U.S.A, 2000, p. 266.

(218) Amber I. Kathrine: A- Mazing world- Travelling, the pluralist future of radical feminism, op. cit, p. 3.

(219) Traci C. west: The Gift Arguing with Mary Daly's White Feminist studies in Religion, Vol. 28, No. 2, Indiana university press, fall 2012, pp. 114-115.

ببساطة كما لو كان هناك تمييز جنسي وعنصري بين كل من النساء البيض والسود[220]، وتتفق معها في ذلك وود J. M. Wood وترى أنها كانت ساذجة في تصورها للنساء على أنها موجودات أخلاقية سامية يمتلكن قيمًا إبداعية على نحو فطري يفوق أي قيم أخرى، أضف إلى ذلك أن نهج "دالي" في رأي "روزماري روثر" هو ردة فعل نسوية مغالية في التعصب بإمكانها أن تجعل النساء يفقدن اتصالهن بالوجه الإنساني الذكوري[221]. وعلاوة على ذلك فإن استنتاجات دالي فيما يتعلق بالرجال والنساء يتمثل في سلب شخصية كلا منهما كما أنها فشلت في التغلب على الانقسام بين الصور النمطية لدور الجنس من خلال تحويل الرجال إلى كبش فداء عن طريق اخصائهم Castrating أضف إلى ذلك أنه إذا كان النظام البطريركي يفترض أن المرأة شر وناقصة عقليًا فإن دالي ترى العكس بأن الرجال هم شريرين وبهم عيوب عقلية[222].

جـ- اللغة والمجاز:

قد لا نبالغ كثيرًا إذا قلنا بأن دالي هي من أكثر فلاسفة النسوية اهتمامًا باللغة وقد ظهر ذلك جليًا في جل كتاباتها ولا سيما المتأخرة منها التي اتسمت بقدر كبير من التعبيرات الجديدة التي تتسم بسمة نقدية يغلب عليها في بعض الأحيان المراوغة والخداع ونذكر هنا بعض من هذه المصطلحات التي صكتها دالي على سبيل المثال لا الحصر فهي تستخدم اصطلاح "المجيء الثاني The Second Coming" وتقصد به مجيء النساء في مقابل المجيء الثاني للمسيح، وعلى غرار الوجود الجديد New Being لبول تيليش، كذلك تنتقد مصطلح الكريستولوجي وترى أنه أصبح وثنية متمثلة في عبادة المسيح وترفض أن تكون ثيولوجية وترى أنه من الأفضل لها أن تكون ثيالوجية Thealogy أي أن يكون اهتمامها منصبًا على الإلهة الأنثى.

فإذا كانت الديانات يقع على عاتقها ظلم النساء، فإن اللغة أيضا يقع على عاتقها نصيبًا كبير من ظلمهن أيضًا فتأثيرها- في رأي دالي- يمتد إلى صمت النساء وإنكار

([220]) Elizabeth V. Spelman: Gender and Race: The Am personal Problem in Feminist philosophy by Alison Bailey and Chris Cuomo, McGraw Hill Companies, Inc, N.Y, 2008, p. 271.

([221]) J. M. Wood: Patriarchy Feminism and Mary Daly, op. cit, p. 179.

([222]) Loc cit.

(ISSN : 2536 - 9555)

وجودهن وهو الأمر الذي يتطلب من النساء تأكيد ذواتهن من خلال تأسيس علاقات جديدة باللغة تقوم على الاعتراف بحضورهن والاعتراف بالإلهة الأنثى داخل اللغة[223]، وعلى ذلك تنطلق دالي في فلسفتها للغة من افتراض مؤداه بأن اللغة ليست محايدة بين الجنسين وتؤكد على أن كل اللغات تحمل رموزًا ودلالات صنمية لا تخلو من التحيز الجنسي، ففي المجتمعات الغربية نجد اللغة الرمزية والدلالة المسيطرة ممثلة في الرجال أصحاب البشرة البيضاء، فقد وجدت اللغة بالنسبة لهم من أجل خدمة مصالحهم، وحفاظًا على هيمنتهم الذكورية، لذلك سعت دالي للإطاحة بالحيادية المزعومة والزائفة لخطابات السلطة الأبوية، وأدعت بأن النساء بإمكانهن إيجاد خطابات محددة خاصة بهن في محاولة منها لإيجاد خطاب نسوي موجه تتخذ منه النساء نقطة انطلاقاتها اللاهوتية[224].

وعلى هذا الأساس فقد استخدمت دالي ميتا Meta ومعناها بعد و Beyond ومعناها "ما هو أبعد" كبادئة لكثير من المصطلحات التي تخدم فلسفتها النسوية والتي يترتب عليها قلب للمفاهيم أو المصطلحات التي تتصورها مقلوبة وأطلقت على هذا المصطلح "تعديل المقلوب" واستخدمته في معظم كتاباتها ومن ثم نجد تأثرها الواضح بنيتشة حتى صارت في استخدامها لهذه المصطلحات نيتشوية أكثر من نيتشة نفسه.

وعلاوة على ذلك نجد استعمالها المخادع لمصطلح الوثبة أو القفزة ومصطلح الروحية النسوية ذلك لأن كلمة روحية ترتبط عادة بدين أو معتقد أو بإله أو بتصوف لكنها عند دالي بعيدة تمامًا عن أي دين فتستخدمها بمعنى التخلص من المعتقد الذكوري. وفي الحقيقة أن هذا الأمر ليس بغريب على دالي التي قامت بتأليف معجم للألفاظ الشريرة أو القبيحة في اللغة الانجليزية بالاشتراك مع جين كابوتي.

([223]) Analouise Keating: Back to the Mother? Feminist Myth Making with a difference in Feminist interpretations of Mary Daly, ed., by Sarah Lucia Hoagland, The Pennsylvania university press, U.S.A, 2000, p. 350.

([224]) Frances Gray: Elemental Philosophy: Language and ontology in Mary Daly's Text in Feminist interpretations of Mary Daly, ed. By Sarah Lucia Hoagland, The Pennsylvania university, U.S.A, p. 222.

وتظهر براعة دالي في استخدامها للاصطلاح الوجودي Be-ing بحروف كبيرة لتشير إلى الوجود الأسمى Supreme Being أو الإلهة Goddess واستعمال نفس المصطلح بحروف صغيرة being لتشير إلى المعنى الكلاسيكي لمقولة الوجود. فكلمة Be-ing تعني المطلق والحقيقة المعلنة والتجلي الثابت وفعل الأفعال اللازمة التي ليست بحاجة إلى مفعول يحدد فاعليتها، فالخير هو التواصل الذاتي وهو الفعل من ذاته، ولذاته، ومع ذاته، ويمكن للأفراد أن يشاركوا مشاركة حقيقية في المتعاليBe-ing[225]، كما أن الوجود الأسمى هو من منظور دالي النسوي هو فعل وليس اسم، كما أن هناك صلة وثيقة بين الوجود والمشاركة في الوجود الأسمى[226]، كذلك فقد فرقت دالي بين Gynaecology علم أمراض النساء أو طب النساء و Gyn/Ecology وتعني علم دراسة النساء بمعناها الواسع الذي يشير إلى نسيج معقد من العلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية وبيئاتهم كما أنه يتجه إلى نزع سلطة بعض الكلمات[227].

وتمضي دالي في فلسفتها اللغوية فتطالب بوضع حد للدعم الذي تقدمه الكلمات المنحطة أو المهينة التي تستخف بالنساء كما هو موجود في اللغة السوقية بصفة يومية ذلك لأن هدف الحركة النسوية في حرم الجامعات هو تهذيب اللغة المغتصبة منهن بعد أن تم إعطاء النساء معاني جديدة للكلمات القديمة من اجل تغيير دلالة معانيها، فعلى سبيل المثال أصبح من الشائع لكل نسويات الحركة بأن البشاشة تشير إلى كل واحدة منهن بوصفها كلبة Bitch كتحويل للاستعمال الذكوري، فهن يحاولن إزالة ما يجدونه مهينًا وذلك عن طريق تحويل الكلمة إلى أداة خاصة بهن، وبعبارة دالي تجريدها من معاني السلطة الأبوية[228].

([225]) Mary Daly and Jane Caputi: Webster's First intergalactic Wickedary of English Language, Beacon press, 1987, p. 60.

([226]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 43.

([227]) Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, p. 10.

(228) Lisa Karin Levin: Avoice of one's own: Virginia Woolf, The Problem of language and Feminist Aesthetics, Master of Arts in English, The College of William and Mary in Virginia, U.S.A, 1993 , p. 6.

(ISSN : 2536 - 9555)

ولقد كانت دالي من أوائل الفلاسفة النسوية اللاتي استعملن المجاز الديني إذ كانت ترمي لتحقيق هدفين من جراء استخدامها للمجاز الديني، أولهما هو خلق أو إبداع نظام ديني أنثوي يعتمد على خبرة النساء ففي مثل هذا النظام فإن النساء يبدعن فلسفة ولاهوت خاصة بهن، كما أن الغرض النهائي لهذه الأنظمة الدينية هو اكتساب خبرة النسيج في الحياة داخل سياق التجربة النسوية وثانيهما إبداع نظام عالمي جديد من خلال تغيير الثقافة الشائعة وهي متأثرة في ذلك بنيتشة واصطلاحه "قلب القيم" أملة في ذلك أن تحل القيم النسوية محل الأخلاق الذكورية في المجتمع بشكل نهائي[229]، كذلك فإن اللغة ومجازاتها ضرورية لتحقيق أهداف ثورية وهي ضرورية للحوار النسوي وسماع أصواتهن.

ولعل ما تقصده دالي بالمجازات هو ما تؤديه من دلالات متغيرة فهو أداة إبداعية تهدف إلى تحرير النساء من استخدام السلطة الأبوية للغة، وقد نجحت دالي في استخدامها للمجاز في التوسع باللغة وتطوير استراتيجية لغوية شيقة خاصة بالحركات النسوية على الرغم من أن هذه الاستراتيجيات تم تجسيدها في فهم أساطير جديدة خاصة بالابستمولوجيا النسوية تمكن النساء من التعرف على الوجود الحقيقي الخاص بهن ومن ثم أرادت دالي إحياء السمات الأسطورية التي تعيد للنساء قوتها فاستشهدت بالأساطير الخاصة بالنساء الأمازونات[*] Amazons الطويلة القوية المسترجلة والخبيثة في مواجهة السلطة الأبوية[230] كما لو كانت تريد ترجيل النساء.

([229]) Betty Talbert-Wettler: Secular Feminism Religious Metaphor and Christianity, Journal of the Evangelical Theological Society, Vol. 38, No. 1, March, 1995, p. 91.

[*] الأمازونات Amazons وتعني نساء بغير صدور وهي قبيلة في الأساطير اليونانية من المقاتلات الإناث تعيش في كابادوكيا في آسيا الصغرى ولهن في الصدر ثدي واحد أما الثاني فقد أذيل منذ الصغر حتى يستطعن اطلاق القوس بحرية أكثر، يتزوجن من رجال من جنس آخر ثم يحتفظن بالمواليد الفتيات فقط ويقتلن البنين أو يعودوا إلى آبائهم، وتظهر الأمازونات في الأساطير اليونانية مع كثير من الأبطال مثل هرقل، وبروسيوس وثيوس وغيرهم. مع أن هؤلاء جميعًا قاتلن ضدهن، (د إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، المجلد الأول، مدبولي، القاهرة، 1996، ص75).

([230]) Darlene M. Juschka: op. cit, pp. 92- 93.

وتذهب دالي إلى أن النساء بحاجة إلى الوصول للقوة الكامنة في اللغة، فقدمت استراتيجيات منطقية اعتقدت أنها ستعطي سلطات واسعة للنساء تضمنت هذه الاستراتيجية اللغوية التسمية، وإعادة التسمية، ثم إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح أو وضعها الأصلي في عملية أطلقت عليها "تعديل المقلوب" ذلك لأن الآباء قاموا بعملية قرصنة للمجازات والرموز وجردوها ثوبها الحقيقي والبسوها غطاء السلطة الأبوية، ونسبوا لأنفسهم معانيها الحقيقية، وفي استخدام دالي لهذه الاستراتيجية أكدت على أن اللغة ورموزها ربما تكون تحت سيطرة السلطة الأبوية[231].

وتمضي دالي فتذهب إلى أن الوقت لم يحن بعد للحوار مع اولئك الذين سرقوا سلطة الخطاب، وجعلوا اللغة في مجملها نظام من الكلمات الخاطئة فاستثمروا الموقف لصالحهم، والواقع أنه عصر الرجال الذين يتعين عليهم أن يسمعوا وينصتوا وأن يعرفوا الطريقة التي تعينهم على تنفيذ وعودهم من اجل الكشف عن الخطاب الملائم، ربما كان هناك عدد قليل من الرجال لديهم الرغبة في الاستماع لكن أولئك الذين لا يرغبون في ذلك فإنهم يعيشون في اللاوجود، كما قال أحد الأنبياء المعروفين ذات مرة "من كان له اذنان للسمع فليسمع"[232]، هذا يعني في رأي دالي أن اللغة المستخدمة في الأديان تعد لغة متحيزة للرجال على طوال الخط للإله المذكر. ومن هنا فقد سعت في البحث عن الكلمات القديمة وجذورها واشتقاقاتها اللغوية لتقدم لها تعريفات جديدة فرأت أن مثل هذه الكلمات القديمة تلقي الضوء على مشكلات اللغة كما تراها ويتعين أن نعالجها على نحو صحيح من أجل خلق تاريخ جديد وماضي جديد وإعادة صياغة اللغة من الداخل والخارج[233]، ومن أجل ذلك طالبت دالي بتحرير اللغة من سياقاتها القديمة وهذا يعني ضمنيًا النفاذ إلى مجالات دلالية جديدة، وهذه السياقات الجديدة لها مصدرها الذي يتحقق في نمو الوعي النسوي الذي تملكه النساء من خلال مواقفهن[234]، وطالبت أيضا

(231) Ibid, p. 75.

(232) Mary Daly: Beyond God the father, pp. 173- 174.

(233) Lisa Karine Levin: op. cit, p. 23.

(234) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 8.

(ISSN : 2536 - 9555)

بكشف النقاب عن الرموز غير المسموح بها وخلق رموز تتمحور حول المرأة، فعندما تبدع المرأة رموزًا جديدة فبإمكانها أن تحقق تحولا ضروريًا يتطلب تطوير الوعي فيما هو أبعد من السلطة الأبوية والوجود الأسمى[235].

وبناء على ذلك فقد استخدمت دالي على أغلفة كتبها رموزًا لحيوانات ونباتات برية والنجمة النحاسية والهلال والقمر وهي رموز ترمز بطبيعة الحال للإلهة ديانا[*] Diana الإله الأنثى في الديانة الرومانية القديمة التي تشير إلى العبادة الديانية Dianic Cult نسبة إلى الإلهة ديانا[236]، فقد حاولت دالي تفكيك المصطلحات داخل اللغة من ناحية وترميم بعض الكلمات القديمة من ناحية ثانية وإن ظلت على حالتها من الناحية الشكلية لكن قامت بتغييرها من ناحية المضمون أو بعبارة أدق تحويلها من الصورة السلبية التي كانت موجودة عليها إلى صورة حيوية ايجابية، فمثلا كلمة Witch ساحرة متصلة بكلمة Wit التي تعني ذكاء وفطنة وموهبة فهي ترتبط أيضا في معناها بالمعرفة، كما أن المعرفة مرتبطة بالنسبة للساحرة دائمًا بالتنبؤ والتكهن. ويرتبط التنبؤ في الأديان بالنبوة لكن عندما يرتبط التنبؤ بالغيب في الديانة الوثنية يطلق عليه سحر أو عرافة، وهذا النوع من المعرفة التنبؤية هو سمة تتسم به الحركة النسوية. ولقد أرجعت دالي الفضل في تنبيهها لهذا الأمر إلى "روبين مورجن" التي ألهمت النساء وشجعتهن كي يتم تصنيفهن كساحرات. واستطاعت النساء فهم هذا المدلول وتقبلته بمعناه العميق بدلاً من المعنى

([235]) Darlene M. Juschka: op. cit, p. 53.

[*] ديانا Diana هي إلهة الصيد وهو تسليتها المفضلة، وإلهة القمر الذي يسطع السماوات، وإلهة الولادة في المثيولوجيا الرومانية ومرتبطة بالحيوانات والنباتات البرية، لديها القوة للتكلم والتحكم، تعادل الإلهة أرتميس في المثيولوجيا اليونانية، كما أنها تعبد اليوم من قبل أتباع الويكا Wiccan الديانية كرمز للأنثوية، وديانة حسب المعتقد الروماني هو العذراء للولادة، والمرأة، وهي واحدة من ثلاثة إلهات أقسمت على عدم الزواج هي منيرفا Minerva وفيستا Vesta إلهة النار، ومن أجل ذلك تلقب الآلهتان ديانا ومنيرفا بلقب العذراوات البيضاوات من وحي أبولو.

https//ar.m wikipeadia. org.wiki/mythology,Diana.

وانظر: ب- كوملان: الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، مراجعة محمود خليل الناس، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم 104، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص38- ص41.

([236]) Mary Daly: Beyond God the father, op. cit, p. 147.

القديم المشين في وصف النساء من قبل السلطة الأبوية، وهي تتفق في ذلك تمامًا مع "مارجريت موراي" Margret Murray (1863- 1963)[237].

وهناك أمثلة كثيرة جدًا لترميم بعض الكلمات المشوهة مثل كلمة Hag جنيه (أنثى الجن) وهي مستمدة من الإنجليزية القديمة تأتي بمعنى ساحرة، وأيضًا في قاموس "ويبستر" أنثى الجن "جنيه" كما أنها تعني روح شريرة، مرعبة، كابوس، أو عجوزة قبيحة، لكن "دالي" ترى أنه ربما يكون هذا الاعتبار مدحًا بأن تكون الأنثى شريرة لأولئك الذين يخيفونها، ومن ثم يتم قلب القيم فالعجوز ستكون قوية شجاعة وحكيمة أى رمز للقوة والشجاعة والحكمة[238]. وهناك أيضًا كلمات مثل عجوز شمطاء Crone، والعانس Spinster. وهي كلمات قديمة مهجورة حاولت "دالي" تغيير معانيها السلبية القديمة لتضفي عليها معانٍ جديدة تستعملها لأغراض نسوية خاصة، فلغة "دالي" اتسمت بقدرة كلية من الناحية العملية، وقوة براقة في ذاتها من أجل اختراق القيود[239]، بالإضافة إلى عودتها لمصطلحات قديمة مثل امرأة ساخطة متذمرة Nag أو مسحاقة Dyke، أو حذرة محتاطة Prude فمثل هذه المصطلحات لم تكن مرغوبة في أى وقت مضى لكنها اتخذت معانٍ جديدة داخل نسق "دالي" فقامت بتغيير هذه المفاهيم التي كانت تفهم بصورة سلبية قبيحة داخل السلطة الأبوية وهذا التحول بمثابة تغيير في المضمون فتصبح المرأة مشاكسة أو ثعلبة Vixen في تفكيرها[240]. وبالتالي فقد هدفت "دالي" من جراء استخدام المجاز إلى إعادة تسمية المؤنث "ساحرة" جنيه، سليطة اللسان، فقد فهمت المجاز بأنه يمتلك جذورًا انطولوجية توجه الوجود الإنساني إلى الوجود الحقيقي، فالمجاز لا يجلب معنى جديدًا فحسب، ولكنه يجلب وجودًا جديدًا في العالم[241].

([237]) Mary Daly: Beyond, op. cit, p. 66.

وانظر: - Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, p. 221.

([238]) Mary Daly: Gyn/ Ecology, op. cit, pp. 14- 15.

([239]) Ellien Manion: Mary Daly's Pure Lust, op. cit, p. 136.

([240]) Darlene M. Juschka: op. cit, p. 77.

([241]) Ibid, pp. 95- 96.

(ISSN : 2536 - 9555)

إن ترميم الكلمات القديمة في رأى "دالي" يسهم بدور فعال في عملية التحرر، فقد وصفت "دالي" منهجها اللغوي بوصفه فعل روحي وثني، وفي الوقت ذاته أكاديمي، تحرري، ماهر، متجاوز، أى أنه يتلاعب ويعالج القواعد من أجل نقض الكلمات أو تغييرها[242]. كما أن منهج التحرر عندها يقوم على تأنيث اللغة والصور والرموز بوصفها انعكاسًا لبنية التمييز الجنسي السائدة في العالم. ولعل ما تقصده "دالي" هو تحويل المعاني المتمثلة في القمع والظلم من جانب الآباء إلى لغة نسوية جديدة يغلب عليها الطابع النسوي وليس الطابع الذكوري السلطوي الأبوي[243].

فهي تريد أن تحرر اللغة من روابط أو علاقات السلطة الأبوية دون تأليف أو صياغة روابط جسدية أو مادية جديدة وهو الأمر الذي يسمح للنساء بالوصول إلى اللغة التي تم تجريدهن من خلال قمعهن وهي تتفق في ذلك تمامًا مع فرجينيا وولف[244]. التي تأثرت بها تأثرًا عميقًا في كتابها علم دراسة النساء.

علاوة على ذلك فإن "دالي" لا تبحث في إبداع نظام جديد من اللغة والمعنى فحسب من أجل الوصول إلى النساء، ولكن بالأحرى تريد أن تتخلص في اللغة مما تجده عدواني أو مهين، وقمعي، ومن صيغ التصغير المضافة لنهايات الكلمات التي تصف النساء وتحكم عليهن بالسلبية والضعف، كما لو كانوا سلبيات بالفطرة، وحاولت تقديم تعريفات جديدة لكلمات قديمة لإلقاء الضوء على مشكلات اللغة كما تراها، وهي بذلك تهدف إلى خلق تاريخ جديد، وماضٍ جديد، وإعادة صياغة اللغة من الداخل والخارج[245].

وعلى ذلك فقد أكملت "دالي" حديثها عن الثورة النسائية بذلك الجانب التطبيقي في نقد الثقافة الذكورية إذ طالبت المرأة بثلاثة مهام أولها: هي "الإقدام في مواجهة الأفكار الذكورية التي كانت تود سجنها في قفص الرق والعبودية والانتقاص من شأنها بل

(242) Christopher D. Rodkey: Mary Daly, op, cit, pp. 157- 158.

(243) Mary Daly, Beyond God the father, op. cit, p. 9.

(244) Lisa Karin Levine: op. cit, p. 6.

(245) Ibid, pp. 33- 34.

وإدانتها من قبل النصوص المقدسة، وثانيها التآخي النسوي التي تعلن فيه أن كل نساء الأرض لهن نفس الحقوق التي تطالب بها لهن، فليست هناك قداسة مستمدة من نسب الرب (أو الإله) فالتميز هنا أو الأبدية لمريم تحمل بين طياتها بذورًا للعنصرية التي هي وبالاً في كل صورها، فالمساواة مطلوبة بين جنس المرأة وجنس الرجل بمنأى عن التأليه الذكوري أو الأنثوي.

أما الرسالة الثالثة والأخيرة فهي تخليص اللغة من تلك الصفات أو التعبيرات التي تحط من شأن المرأة، ولا سيما المتعلقة بالجنس، فالجنس فعل مشترك بين العنصرين، فما علة اتهام المرأة بما يعيبها إذا مارسته بحرية في حين أن ذلك لا ينطبق على وصف الرجل، وغير ذلك من التعبيرات المباشرة والمجازية والرمزية، ويندرج في ذلك الإيماءات الحركية والإشارية. وبذلك تكون "دالي" قد فَعلت ثورتها النسوية لتشمل كل النواحي التي ترد للمرأة بعضًا من كرامتها المهدرة في ظل الثقافة الذكورية على حد تعبيرها.

الخاتمة

لقد كشفت الصفحات السابقة عن عدة نتائج نذكر منها:

- لقد جمعت "ماري دالي" بين النسوية الراديكالية، والعلمانية، إذ تصر على أن السلطة البطريركية (السلطة الأبوية) هي السبب في ظلم، واضطهاد المرأة، وأن الحل الوحيد يكمن في التخلص من هذا النظام وإعادة بناء المجتمع على أسس قوية تحقق فيه النساء أهدافها وانتهت "دالي" إلى رفض الإيمان المسيحي في مجمله.
- عندما تعالج "دالي" مشكلات اللاهوت النسوي فإنها تحاول أن تضع حلولاً عقلية، لكن هذه الحلول في كثير من الأحوال هي أعقد بكثير من المشكلات، فكل حل يتضمن مشكلة، والمشكلات تتفرع إلى مشكلات كثيرة وكأننا ندور في دائرة مفرغة.
- لم يكن هدف "ماري دالي" هو نقض الكتب المقدسة بل تفكيك كل الروابط التي تربط بين احتقار المرأة والعقائد من جهة، وإثبات أن المدرسيين الأوائل، والكهنة واللاهوتيين هم الذين طوعوا النصوص، وأولوها، ووجهوها على نحو يدين المرأة ويسلبها حقوقها من جهة أخرى، الأمر الذي دفعها لنقض النسق اللاهوتي برمته.

(ISSN : 2536 - 9555)

- إن "دالي" قد تخلصت من قيد الحداثيين النسقيين، واتخذت من التفكيكية آلية للهدم والبناء معًا، فقد فككت كل الروابط التي تجمع بين المجتمع الذكوري، وادعاءاته الجائرة تجاه المرأة، وراق لها اصطناع رؤية نقدية تنطلق من قناعاتها وليس من المناهج التقليدية المعروفة عند الفلاسفة واللاهوتيين.
- لقد دعت "دالي" إلى معتقد جديد يكون بديلاً عن الاعتقاد في الأديان السماوية والوضعية، معتقد لا تظهر فيه السلطة الأبوية التي تتركز حول الرجل، وإنما يكون جوهر هذا المعتقد هو الإيمان بإلهة مؤنثة.
- لم يكن مشروع "دالي" نوعًا من الترضية أو تسوية الأوضاع، والخلافات مع السلطة الأبوية، فهي لا تطمح للمساواة فحسب، ولكن التأكيد على الوجود الحقيقي للنساء.
- إن ثالوث دالي الأكثر تأثيرًا على فكرها هو "نيتشه" و"دي بوفوار" و"تيليش" وعلى الرغم من تأثر "دالي" بفلسفة "بول تيليش" الوجودية إلا أنها انتقدت مفهوم الوجود الجديد، ومفهوم الشجاعة عنده، ذلك فضلاً عن تأثرها بالكثير من الآراء السابقة عليها في هذا المضمار غير أنها تمتاز عنهم بالجرأة، والعنف، ووضوح المقصد.
- إن تحليل "ماري دالي" لقضية الخلق، وأسطورة "آدم وحواء" لا يخلو من الإضافة على الاعتراضات التي وجهها الفلاسفة لهذه الأسطورة، إذ جرحت النصوص المقدسة، وذلك بمقابلة النصوص التوارتية بعضها ببعض، وأثبتت أن تأويلات الأحبار، والكهنة ليس لها أساس مقدس، وأن الأسطورة شاغلة بالاضطراب، والتناقض إذا ما قورنت بالقصدية الإلهية من الخلق، ثم العقائد المسيحية الرئيسية مثل الخلاص، والقيامة.
- إن فكرة "دالي" لتحويل الصفات إلى أفعال عند مناقشتها لطبيعة الإله الذكوري لم تستطع الكنيسة أو رجال اللاهوت الرد عليها أو دحضها.

أهم مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر: أهم مؤلفات ماري دالي مرتبة ترتيباً زمنياً:

1. Daly (Mary). (1968): The Church and the second sex, Beacon press, Boston, U.S.A, 1985.
2. _ (1973): Beyond God the Father, toward a philosophy of women's liberation, Beacon press, Boston, U.S.A, 1985.
3. _ (1978): Gyn/ Ecology; The Ethics of Radical Feminism, Beacon Press, Boston, 1990.
4. _ (1984): Pure lust, Elemental Feminist Philosophy, Beacon Press, Boston, 1984.
5. _ (1985): Wanderlust/ Wonderlust: Re: membering, the elemental powers of women, Dalhousie Review, Vol. 64, No.4, 1985.PP 666-686.
6. _ and Jane Caputi (1987): Webster's first New Intergalactic Wickedary of the English Language, Beacon press, Boston, 1987.
7. _ (1993): Outercourse: the Be- Dazzling voyage, the woman press, London, 1993.
8. _ (2006): Amazon Grace, Recalling the courage sin Big, Palgrave Macmillan, N.Y, 2006.
9. _ (2008) :Be- Longing: the Lust for Happiness, An Essay in the Feminist Philosophy Reader, ed. By Alison Bailey and Chris Cuomo, Mc Graw Hill companies Inc, N.Y, 2008, pp.

ثانياً: مؤلفات عن ماري دالي:

أ- رسائل جامعية عن ماري دالي (مرتبة أبجدياً)

1- Kathrine (Amber L): A mazing world- Travelling the pluralist future of Radical Feminism Ph. D in philosophy Michigan state university, 1997.
2- Kort (Ann- Marie): Deliver us from Evil: Bad Versus Better Faith in Mary Daly's feminist, writings linguistic, 2nd ed, laud ingustic Agency university of Duisburg- Essen, 2007.

(ISSN : 2536 - 9555)

3- Rodkey (Christopher D): Mary Daly, An Essay in the Palgrave Hand book of Radical Theology, ed., by Christopher D. Rod Key and Jordan Miller, Palgrave, Macmillan, 2018.

4- Tyminski (Renia): Divinity, Transcendence and Female subjectivity in the works of Mary Daly, Ph.D in philosophy, The university of Tornoto, N.Y, 1996.

5- Wood (J. M): Patriarchy, Feminism and Mary Daly: A systematic Theology- Theological enquiry into Daly's engagement with gender issues in Christian Theology, Doctoral Dissertation, university of South Africa, Pretoria, 2013.

(ب) مقالات عن ماري دالي:

1- Feminarum (Anno): Feminist post Christian Introduction Acritical Review of the Church and the Second Sex in Mary Daly's book the church and the second sex, Beacon press, Boston, 1985.

2- Frye (Marilyne) and Sarah Lucia Hoagland, Mary Daly off our Backs (A women's New Journal" Vol. 30, No. 2. (Mary Daly) February, 2000, pp 1-15.

3- Gray (Frances), Elemental Philosophy, Language and ontology in Mary Daly's Text in Feminist interpretations of Mary Daly, ed. By Sarah Lucia Hoagland, The Pennsylvania university, U.S.A.

4- Kathrine (Amber L): A too early Morning: Audre Lorde's "An open letter to Mary Daly's and Daly's Decision not to respond in kind, An Essay in Feminist interpretations of Mary Daly ed., by Sarah Lucia Hoagland, the Pennsylvania university press, U.S.A, 2000.

5- Keating (Analouise): Back to the Mother? Feminist Myth Making with a difference in Feminist interpretations of Mary Daly, ed., by Sarah Lucia Hoagland, The Pennsylvania university press, U.S.A, 2000.

6- Kraemer (Ross S).: Gyn/ Ecology, Book Reviews, Chicago Journals, Signs, Vol. 5, No. 2, University of Chicago press, Winter, 1979., pp. 354-365.

7- Lorde (Audre): An open letter to Mary Daly in sister outsider, Essays and Speeches, Trumansburg, N. Y, 1984.
8- Manion (Eileen): Mary Daly's pure lust Canadian Journal of political and social theory/ Revue canadienne de theories et social, Vol. IX, No. 3 (fall/ Autumn, 1985, pp. 134- 137.
9- Mann (Bonnie): Appendix to New intergalactic introduction Gyn/ Ecology in the lives of Women in the real world in Daly's Book Gyn/ Ecology, Beacon press, Boston, 1990.
10- Moan (Geraldine): Psychic Liberation, Feminist Practices for Transformation among Irish Women in Feminist interpretations of Mary Daly, ed., by Sarah Lucia Hoagland, The Pennsylvania university press, 2000.
11- Roeschley (Anna Beth): A Mary Daly Reflection: from another perspective, water wheel Quarterly News letter of the Women's Alliance for Theology, Ethics and Ritual, Vol. 21, No. 1, 2010, www.hers.com.
12- Schneider (Laurel C.): The Courage to see and to sin: Mary Daly's Elemental, Transformation of Paul Tillich's ontology in Feminist interpretations of Mary Daly, ed., by Sarah Lucia Hoagland and Marilyne Frye, The Pennsylvania state university press, Pennsylvania, 2000.
13- West (Traci C): The Gift Arguing with Mary Daly's White Feminist studies in Religion, Vol. 28, No. 2, Indiana university press, fall 2012, pp. 112- 117.
14- Wettler (Betty Talbert): Secular Feminism Religious Metaphor and Christianity, Journal of the Evangelical Theological Society, Vol. 38, No. 1, March, 1995, pp. 77-92.

ثالثاً: مراجع ومقالات متخصصة في فلسفة الدين واللاهوت النسوي ذات صلة وثيقة بالموضوع:

1- Bacik (James J): The Feminist Theology of Rosemary Reuther: Challenge to Pope Francis, http:/// www. James. bacik@ gmail. com,p.10.

(ISSN : 2536 - 9555)

2- Buchrucker (Armin- Ernst): The Ordination of women and Feminist Theology, Logia, A journal of luthern Theology, Feminism, Vol. IX, No. 1, Epiphany, 2000.

3- Car (Anne): Is a Christian feminist theology possible? Theological studies, Vol, 43, No. 2, 1982, pp279-297.

4- Davidson (Jo Ann): Modern feminism, Religious pluralism and Scripture, Journal of the Adventist Theological, Vol. 10/ 1, 2000, pp. 401- 440.

5- Freedman (Jane): Feminism, open university press, Buckinghage, :Philadelphia, 2000.

6- Hunt (Mary E): Lesbian Religious History: High Lights in the Low Lights Religious archives Network, Chicago, Theological Seminary, April, 2003,pp1-7.

7- Jerffeys (Sheila): Unpacking Queer Politics, A lesbian and Feminist Perspective? Polity Press in associated with Black well publishers LtD, Cambridge, 2003.

8- Kearney (Vanessa Lynn): The Sacred Feminine in the Age of Block Buster, Ph. D in philosophy, Faculty of The university Graduate school Indiana university, U.S.A, 2009.

9- Meister (Chad): Philosophy of Religion, Palgrave, Macmillan, u.k, 2014.

10- Reuther (Rosemary Radford): Mary- the feminine face of the church, Westminster press, Philadelphia, 1977.

11- Scaer (David P): Christology and Feminism, Logia, A Journal of Lutheran Theology Feminism, Vol. ix, No.1, Epiphany, 2000, pp 3-7.

12- Spelman (Elizabeth V): Gender and Race: The Am personal Problem in Feminist philosophy by Alison Bailey and Chris Cuomo, McGraw Hill Companies, Inc, N.Y, 2008.

رابعاً: المراجع العربية:

الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس، القاهرة، 1970م.

1- أرسطو: السياسات نقلة من الأصل اليوناني، وعلق عليه الأب أوغسطين برباره البولسي، الباب الأول، الفصل الثاني، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية الأونسكو، بيروت، 1957.
2- أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة ودراسة د فؤاد زكريا راجعها على الأصل اليوناني، د محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة الكتاب، القاهرة، 1974.
3- الأكويني (توما): الخلاصة اللاهوتية (المجلد الثاني) ترجمة من اللاتينية إلى العربية الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1889.
4- بال (ميكا): الجنسانية، الخطيئة، الأسى: ظهور الشخصية النسائية، مقال في النسوية، والدراسات الدينية (سلسلة ترجمات نسوية، العدد الثاني، ترجمة د/ رنده أبو بكر، تحرير د/ أميمة أبو بكر، مؤسسة المرأة، والذاكرة، القاهرة، 2012.
5- تيليش (بول): الوجود الجديد، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، لوجوس، القاهرة، 2003.
6- ـــــــ: الدين ما هو؟ الحب... الإيمان... الثقافة، ترجمة وتعليق مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، لوجوس، القاهرة، 2005.
7- جاسبر (دايفيد): مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو: الدار العربية للعلوم والنشر، بيروت، 2007.
8- دي بوفوار (سيمون): الجنس الآخر، الجزء الأول (الوقائع والأساطير) ترجمة د/ سحر سعيد، دار الوجيه للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2015.
9- ـــــــ: الجنس الآخر (الجزء الثاني) التجربة الحياتية، ترجمة د/ سحر سعيد، دار الرحبة، دمشق- سوريا، 2015.
10- روثر (روزماري رادفورد): تحرير الكريستولوجيا "علم طبيعة المسيح" من النزعة الأبوية مقال في النسوية، والدراسات الدينية، سلسلة ترجمات نسوية، العدد الثاني، ترجمة رنده أبو بكر، تحرير د/ أميمة أبو بكر، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، 2012م.
11- كوملان (ب): الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، مراجعة محمود خليل الناس، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم 104، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
12- لغنهاوزن (محمد): في مواجهة النسوية تقابل في الرؤى والأهداف، مقال في كتاب المرأة، وقضاياها لمجموعة من المؤلفين، ط2، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2013.

(ISSN : 2536 - 9555)

13- ليرنر (جيردا): نشأة النظام الأبوي، ترجمة: أسامة اسبر، مراجعة الأب بولس وهبه، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، بدون تاريخ نشر.
14- ليشته (جون): خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
15- مطر (أميرة حلمي): الفلسفة عند اليونان، جـ1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986.
16- مل (جون ستيورت): استعباد النساء، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة.
17- نيتشه (فردريك): العلم المرح، ترجمة وتقديم: حسان بورقية، ومحمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 1993.
18- ـــــــــ: ما وراء الخير، والشر، ترجمة جيزيلا فالور حجار، مراجعة موسى وهبه، دار الفارابي، بيروت، 2003.
19- ـــــــــ: هذا هو الإنسان، ترجمة على مصباح، منشورات الجمل، بيروت 2006.
20- ـــــــــ: في جينالوجيا الأخلاق، ترجمة: فتحي المسكيني، مراجعة محمد محجوب، سلسلة ديوان الفلسفة، المقالة الثانية، فقرة 7، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.
21- ـــــــــ: إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، ترجمة وتقديم محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2011.

خامساً: المواقع الإلكترونية التي تم استخدامها في بعض المصطلحات:

1- Tina Gianoluis: Mary Daly: Encyclopedia G. L. B. T. Q, Inc., U.S.A, 2015, Available at http://www.glabtq.com
2- https//ar.m wikipeadia. org.wiki/mythology,Diana.
3- https//arm.wikipeadia.org.wiki.kukluxklan.